الفصل الثاني

(الدور الديني للأزهر في أفريقيا)

1 - أهم الممالك الأفريقية التي ظهر فيها دور الأزهر الديني.

2 - دور الأزهر الديني في الممالك الإسلامية .

3 - تصحيح المفاهيم الدينية وإرساء قواعد الدين السليمة.

4 - إرسال الكتب الدينية والمصاحف الشريفة لبلدان القارة.

5 - تأهيل القضاة وعلماء الدين الأفارقة .

6 - المساهمة في إنشاء العمائر الدينية .

7 - الدور الديني للأزهر بعد عصر المماليك .

1 - أهم الممالك الأفريقية التي ظهر فيها دور الأزهر الديني

نظراً لامتداد طول فترة حكم دولة المماليك ، فقد عاصرتها دول أفريقية عديدة ، وكان للأزهر في بعض هذه الدول دور كبير غطى مجالات الحياة المختلفة ، والظاهرة اللافتة للنظر أن هذه الدول انتشرت في أنحاء القارة ففي الشمال الأفريقي ظهرت دول مثل بني مرين في المغرب الأقصى (مراكش) والدولة الحفصية في تونس ، والدولة الزيانية في الجزائر ، وبالنسبة لغرب القارة ظهرت سلطنات مثل مالي ، وصنغاي ، والكانم ، والبرنو. وبالنسبة للشرق فقد ظهرت ممالك الزيلع الإسلامية في منطقة القرن الأفريقي ، وسلطنة مقدشو في الصومال الجنوبي وسلطنة بات فيما يعرف اليوم بكينيا وسلطنة كلوة فيما يُعرف اليوم بتنزانيا.

والحديث عن هذه الدول يطول نظراً لتعدد واختلاف أسباب نشأتها واختلاف مظاهر الحياة فيها ولذلك سيقتصر الحديث على الدول التي كان للأزهر دور بارز فيها والتي كانت لها علاقة مع دولة المماليك وفيما يلي حديث مختصر عن أشهر هذه الدول.

أولاً : دول شمال أفريقيا :

أ - الدولة المرينية (610 - 869هـ/ 1213 - 1465م) :

أقامت هذه الدولة قبائل زناتة البربرية على يد عبد الحق بن محيو[1]. وقد سكنت هذه القبائل منطقة الريف المغربي ، وقاموا بشن غارات على بلاد المغرب ، ودخلوا في حروب عديدة مع خلفاء الدولة الموحدية ، ونتج عن هذه الحروب مقتل عبد الحق بن محيو في عام 614هـ/ 1217م ثم واصل خلفاؤه شن الهجمات على دولة الموحدين ، وخصوصاً في عهد خليفتهم أبي العلاء إدريس الملقب بالواثق[2] ، والذي انتهت في عهده دولة

1 - مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، دار الرشاد الحديث ، المغرب ، 1979م ، ص185.

2 - عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1963 ، ص419.

الموحدين وبدأت دولة بني مرين في سنة 668هـ/ 1269م.

ولقد تعاقب على حكم الدولة المرينية كثير من الحكام من أشهرهم عثمان بن عبد الحق الذي تولى بعد وفاة أبيه، واستطاع السيطرة على معظم بلاد المغرب، وأجبر القبائل على مبايعته، ولكنه قتل في سنة (637هـ/ 1239م) وتولى من بعده أخوه محمد بن عبد الحق الذي واصل الفتوح ولكنه قُتِل في معركة مع الموحدين في سنة (642هـ/1244م) ثم تولى أبو يحيى زكريا بن عبد الحق واستطاع إنزال الهزيمة بالموحدين[1]. ومن السلاطين المشهورين في دولة بني مرين أبو بكر بن عبد الحق[2] (643 - 656هـ/ 1245 - 1258م) وقد قام بتجهيز جيوش وافتتح كثيراً من أملاك الموحدين، كما استطاع فتح مكناسة في سنة (643هـ/ 1245م) وأيضاً اشتهر من ملوك بني مرين أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق (656 - 685هـ/ 1258 - 1286م) الذي دخل مدينة فاس في سنة (657هـ/ 1258م) واتخذها عاصمة له ومن أشهر أعماله بناء المدينة البيضاء سنة (870 هـ/ 1465م)[3]. وقد قامت دولة بني مرين بمجهودات كبيرة في سبيل الدفاع عن الإسلام، فقد حاربت الأسبان عندما هاجموا دولة بني الأحمر، واستطاع يعقوب بن عبد الحق في سنة (674هـ/ 1275م) العبور للأندلس وهزم الأسبان في معركة استجة جنوب غرب مدينة قرطبة كما اجتاز الأندلس مرة ثانية في عام (677هـ/1278م) وحاصر إشبيلية وغزا شريش[4].

وقد ضعفت دولة بني مرين في أخريات عهدها بعد تولّي حكام ضعاف الحكم وبدأت تفقد أملاكها في المغرب الأدنى والأوسط بالإضافة لقيام البرتغاليين بالاستيلاء على مدينة سبتة في عام (818هـ/ 1415م) مما كان سبباً في انهيار الدولة[5].

---

1 - القلقشندي: صبح الأعشى، جـ5، ص196.

2 - المصدر السابق، جـ5، ص 195. وأيضاً محمود عبدالعزيز سالم: المغرب الإسلامي، دار الشعب، القاهرة، بدون، جـ2، ص162.

3 - القلقشندي: نفسه، جـ5، ص196.

4 - عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2001م، جـ7، ص100 - 103

5 - القلقشندي: نفسه، جـ5، ص197.

أما عن علاقة بني مرين بالدولة المملوكية في مصر فقد ازدهرت العلاقة بين الدولتين لأسباب منها أن مصر تقع في طريق الحج وكان سلاطين المماليك يقدمون كل التيسيرات لحجاج بيت الله الحرام[1]، كما كانت هناك علاقات سياسية، وكان للسلطان المملوكي كلمة مسموعة مثال تدخّله لدى سلطان بني مرين في الشفاعة لأحد شيوخ القبائل العربية[2]. وكان لحكام بني مرين رسم خاص بالمكاتبة إليهم أورده ابن فضل الله العمري[3] وهذا الرسم هو (بسم الله الرحمن الرحيم، حضرة المقام العالي، السلطان، السيد، الجليل، العالم، العادل، المجاهد، المرابط، المثاغر، المؤيد، المظفر) ويطول رسم المكاتبة في سرده ولكنه يدل على مكانة ملوك هذه الدولة عند بلاط سلاطين المماليك في مصر، كما يدل على علاقات قامت بين الفريقين، مما هيأ للأزهر دوراً هناك.

ب - الدولة الزيانية (633 - 962هـ/ 1236 - 1555م):

تعود أصول هذه الدولة إلى قبائل زناتة التي استوطنت المغرب وكانت تسمى دولة بني عبد الواد. وقد قامت هذه الدولة على أملاك الدولة الموحدية شرقي المغرب الأوسط[4].

أما عن حدود هذه الدولة فقد تميزت بعدم الثبات بل كانت حدوداً متغيرة تتسع وتضيق طبقاً لصراع الدولة مع جيرانها، وكان يحدها من الشرق الدولة الحفصية ومن الغرب الدولة المرينية. وقد قام بتأسيس هذه الدولة أبو يحي بن يغمر أسن بن زيان (633 - 681هـ/ 1236 - 1282م)[5].

ومن أشهر ملوك بني زيان أبو عثمان (681 - 703هـ/ 1182 - 1303م) وكان من

---

1 - إبراهيم طرخان: مصر في عهد المماليك الجراكسة، النهضة المصرية، القاهرة، 1960، ص 143.

2 - المرجع السابق، ص 146.

3 - ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985، ص 40.

4 - ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1968م، المجلد السابع، القسم الأول، ص 203: 219.

5 - المصدر السابق نفس الصفحة.

أشهر أعماله الدفاع عن حدود الدولة فحارب مغراوة وبني توجين ، ومن أشهر الملوك أيضاً أبو زيان محمد الأول (703 - 707هـ/ 1303 - 1307م) وأيضاً أبو حمو موسى الأول بن عثمان[1] (707 - 718هـ/ 1307 - 1318م) الذي استطاع القضاء على الدولة الحفصية في تلمسان وواصل الصراع مع بني مرين.

وكان من أسباب انهيار الدولة الزيانية الصراع على السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة وظهور الخطر الأسباني واستيلائهم على وهران وبجاية في عام 911هـ/ 1510م بالإضافة لظهور النفوذ العثماني ، وقيام الأخوين عروج[2] وخير الدين[3] بمقاومة الخطر الأسباني وضم المغرب الأوسط لسيطرة العثمانيين.

أما عن علاقة الزيانيين بمصر، فقد قامت بينهما علاقات ثقافية مثل قدوم الطلاب للدراسة في مصر بالإضافة لوجود علاقات دينية مثل السماح لمواطني هذه الدولة بالحج وتقديم مصر تسهيلات لهم[4].

ج - الدولة الحفصية (626 - 981هـ/ 1229 - 1574م):

أقامت هذه الدولة قبائل هنتانة البربرية[5] وينسبون إلى الشيخ أبي حفص يحي ابن عمرو الهنتاني ، وكان هذا الشيخ من أصحاب المهدي بن تومرت ثم ورث ملكه وسلطانه في تونس ، وقد بدأت الدولة الحفصية عندما تولى عبد الواحد الحفصي أمر

---

1 - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ7 ، ص 219.

2 - عروج : يعرف عند الأوربيين بربروسا أي صاحب اللحية الحمراء ، توفي الكفاح ضد النفوذ الأوربي ، وصل للمغرب في عام 918هـ/ 1512م واستطاع الاستيلاء على بجاية من الإسبان ، استشهد في معركة قرب شهر سلف عام 924هـ/1518م. انظر السيد محمود عبد العزيز سالم ، مرجع سبق ذكره ، جـ2 ، ص 210 .

3 - خير الدين : أخو عروج شاركه الجهاد ، وحصل على لقب باشا ؛ انتصر على الإسبان قرب وادي الحراث توفي عام 953هـ/1546م. المرجع السابق ، ص 212 ، 263 ، محمود عبد العزيز : نفس المرجع ، ص 212 ، 263.

4 - إبراهيم طرخان : مصر في عصر دولة المماليك ، الجزائر ، ص 143.

5 - اختلف في نسب الحفصية فقد زعموا أنهم ينسبون لعمر بن الخطاب ، ولكن النسابة أرجعوا نسبهم هنتانه. انظر العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص 174.

تونس في580هـ/ 1184م واستمر والياً على تونس حتى توفي سنة 603هـ/ 1206م ثم تولى من بعده أبو محمد عبد الله الحفصي[1]، وقد حكمت دولة الحفصية تونس حوالي ثلاثة قرون.

وقد ازدهرت الدولة الحفصية في تونس وخصوصاً في عهد أبي العباس الفضل الحفصي (772 – 797هـ/ 1370 – 1394م) وقد استطاع هذا الحكم التصدى للمسيحيين وهزمهم عند المهدية (793هـ/ 1390م) كما قام ابنه بضم الإمارات التي استقلت[2] عن الدولة مثل تلمسان.

أما عن العلاقات مع مصر فقد ازدهرت وكانت مصر تستورد منها الخيول ويرسل السلطان المملوكي لهم الهدايا . وكان لسلطانها رسم في المكاتبات التي يصدرها ديوان الإنشاء وكان لقب السلطان[3] أمير المؤمنين وقد انتهت الدولة الحفصية نتيجة لقيام القبائل العربية بالهجوم عليها ، ومهاجمة الإسبان للسواحل التونسية انتقاماً من الأتراك نتيجة لاتخاذهم هذه السواحل موانيء لهم ، وكانت نهاية الدولة في سنة 981هـ/ 1574م[4].

ثانياً : دول غرب أفريقيا :

أ – سلطنة مالي الإسلامية (596 – 874هـ/ 1200 – 1469م)

مؤسس هذه السلطنة شعب زنجي يُعرف باسم المانديجو ، ويطلق عليهم الفولاني اسم مالي ، وقبائل البربر كانت تطلق عليهم اسم مل أو مليت وأطلق عليهم المؤرخون

---

1 – القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ5 ، ص 127 .

2 – المصدر السابق ، جـ5 ، ص 132 .

3 – العمري : مصدر سبق ذكره ، ص 42 .

4 – حسين سيد مراد: الدولة الحفصية ، الموسوعة الأفريقية ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة 1997م ، جـ2 ، ص155 .

العرب لقب مليل[1].

وكان موقع هذه السلطنة بين بلاد البرنو شرقاً والمحيط الأطلنطي غرباً وجبال البرنو شمالاً[2]، وفي الجنوب جبال فوتا جالون. وكانت هذه المملكة تشتمل على خمسة أقاليم وهي إقليم مالي في الوسط وعاصمتها بنبي، وإقليم صوصو جنوب شرق مالي، وإقليم غانا شمال مالي ويمتد للمحيط الأطلنطي، وإقليم كوكو شرق مالي، وإقليم تكرور في غرب مالي حول نهر السنغال[3].

ومن أشهر ملوك هذه الدولة (سندياتا) وكان يلقب بهاري جاطة وامتدت فترة حكمه (628 - 653هـ/ 1230 - 1255م) وقد استطاع توسيع حدود المملكة إذ استولى على غانا وبلغت مدة حكمه خمساً وعشرين[4] سنة وبعد وفاته في عام (653هـ/ 1255م) وتولى ابنه (منسا ولى) 653 - 669هـ/ 1255 - 1270م وقد قام هذا السلطان برحلة إلى الحج[5] في عهد السلطان الظاهر بيبرس، ومن أشهر الحكام الملك منسا موسى (707 - 733هـ/ 1307 - 1332م) صاحب رحلة الحج المشهورة. وقد اتسعت البلاد في عهده إذ استطاع ضم جاو وتمبكت ووصلت الدولة في عهده من التكرور غرباً حتى ونداي شرقاً ومن ولاتة شمالاً إلى مرتفعات فوتا جالون جنوباً[6]. وظلت هذه المملكة موجودة حتى توسعت على حسابها مملكة صنغي[7].

وكان من أسباب انهيار هذه الدولة، انصراف الحكام لحياة اللهو والترف وفقدان

---

1 - البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون، ص 178.

2 - القلقشندي: صبح الأعشى، جـ5، ص 282.

3 - المصدر السابق، جـ5، ص 283 - 286.

4 - ماري جاطة: ماري في لغة مالي معناها الأمير وجاطة لقب معناه قلب الأسد. انظر القلقشندي: المصدر السابق، جـ5، ص 293.

5 - المقريزي: الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك، مكتبة الخانجي، 1899م، ص 133.

6 - رجب محمد عبد الحليم: الموسوعة الأفريقية، جـ2، ص 177.

7 - محمود كعت: الفتاش، ص 43.

الروح العسكرية ، بالإضافة لتعرضها لغارات الولوف والكانم ، وقد استطاع سُن على إسقاط مملكة مالي في عام (873هـ/ 1469م)[1] بعد سقوط تنبكت .

أما عن العلاقات مع مصر ، فقد كانت مصر معروفة لبلاد مالي يأتي إليها التجار من هذه البلاد ، ويذهب المصريون إلى هناك وقد شاهد ابن بطوطة[2] مصريين هناك ، بالإضافة لقيام علاقات سياسية مثل استقبال الملك منسا موسى ، أثناء قيامه برحلة الحج ، بالإضافة لقدوم طلاب من هذه البلاد للدراسة بالأزهر الشريف ، وتخصيص رواق لهم هو رواق التكارنة[3].

ب - مملكة صنغي (777 - 1000هـ/ 1375 - 1591م) :

تأسست هذه المملكة في إقليم جاو ، وأول ملك أعلن إسلامه هو الملك زاكمي والذي أطلق عليه لقب (مسلم دام) ومعناه المسلم عن اقتناع[4].

ومن أشهر ملوك هذه الدولة (سن علي) الذي حكم في الفترة (869 - 898هـ/ 1464 - 1492م) وبدأ الزحف غرباً واستولى على مدينة تمبكت[5] في سنة (891هـ/ 1486م) ثم جنى في عام 878هـ/ 1473م وفتح مملكة الموسى ومن الملوك المشهورين أيضاً أسكيا محمد الأول (899 - 936هـ/ 1493 - 1529م) الذي أطاح بابن سن علي وتولى الحكم ، ومن أشهر أعماله قيامه بتنظيم شئون البلاد الإدارية قام برحلة حج في عام 901هـ/ 1495م وقام بنشر الإسلام بين القبائل الوثنية مثل المادنجو والفولاني[6] .وأيضاً من الملوك المشهورين أسكيا إسحاق (946 - 956هـ/ 1539 - 1549م) وأشهر أعماله هي إعادة الأمن لربوع الدولة والقضاء على التنافس الأسرى وإعادة الانضباط لربوع الدولة

---

1 - محمود كعت : الفتاش ، ص43.

2 - ابن بطوطة ،الرحلة ، ص 17 .

3 - عن الأروقة :انظر ص 47 من الفصل الثالث .

4 - السعدي : تاريخ السودان ، باريس ،1898م ،ص 3.

5 - المصدر السابق ، ص 64 ، 65.

6 - من جهود الأسكيا محمد في نشر الإسلام . انظر السعدي: تاريخ السودان ، ص 60 : 78 .

وخاض حرباً ضد سلطنة مالي ووقف أمام الغزو المراكشي[1].

وقد انتهت الدولة نتيجة لطمع سلاطين المغرب في السيطرة على مملكة صنغي ورغبتهم في السيطرة على مناجم الملح في تغازة، وقد استطاع قائد الملك أحمد منصور الذهبي الاستيلاء على العاصمة منهم 999هـ/ 1590م وأسقط الدولة[2].

أما عن علاقة مملكة صنغي بمصر، فكانت علاقة ثقافية حيث وُجِد طلاب من صنغي يدرسون بالأزهر الشريف كما وُجِدت مراسلات بين علماء الأزهر مثل السيوطي وحاكم صنغي أسكيا محمد[3].

ثالثاً: دول السودان الأوسط:

مملكة الكانم والبرنو (479 - 1262 هـ/ 1089 - 1846م)

قامت دولة الكانم في بلاد السودان الأوسط شرق بحيرة تشاد، وضمت العديد من القبائل مثل قبائل الصو وقبائل الكانوري بالإضافة لبعض القبائل العربية الذين كانوا يُعرفون باسم الشوا، وهم من قبائل جذام وجهينة[4].

وقد أسس هذه الدولة أسرة من البربر البيض تدعي النسب إلى سيف بن ذي يزن[5] ولذلك عرف باسم الأسرة السيفية، وقد استطاعت هذه الأسرة أن تسيطر على حوض بحيرة تشاد واتخذت من مدينة جيمي عاصمة لها.

أما عن انتشار الإسلام في هذه البلاد فيرى أحد المؤرخين أن دخول الإسلام فيها كان عن طريق هجرة أموية، أتت للبلاد عن طريق مصر، وآخرون يعودون بانتشار

1 - السعدي: تاريخ السودان، ص95.

2 - المصدر السابق، ص 139.

3 - رسالة السيوطي لملك التكرور: ملحق برسالة ماجستير، علاقة مصر بالدول الإسلامية في حوض نهر النيجر، الباحثة زينب أحمد علي، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1982م.

4 - القلقشندي: صبح الأعشى، جـ5، ص 28.

5 - المصدر السابق، جـ5، ص 281.

الإسلام إلى اعتناق الأسرة الحاكمة الدين الإسلامي ونشره بين السكان قرب نهاية القرن الحادي عشر للميلاد ، وكان من نتائج انتشار الإسلام بروز هذه الدولة وظهورها في مجال العلاقات الدولية ، فأصبحت معروفة لكثير من دول العالم الإسلامي وخاصة دولة المماليك في مصر ، إذ كان لها رسم في المكاتبات التي كان يصدرها ديوان الإنشاء في مصر ، ورسمها كالآتي :

أدام الله تعالى نصر الجناب الكريم ، العلي ، الملك ، الجليل ، الكبير ، العالم ، العادل ، الغازي ، المجاهد ، الهمام ، الأوحد ، المظفر ، المنصور ، عز الإسلام»[1] .

ومن أشهر ملوك هذه الدولة الماى بولو الذي حكم سنة 411هـ/ 1020م وأوم بن عبد الجليل (479 - 491هـ/ 1086 - 1097م) [2] الذي نشر الإسلام في بلاده واتجه للشرق ودُفن في مصر أثناء عودته من رحلة الحج ، وأيضاً من الملوك المشهورين الماى دونمة بن أوم الذي حكم في الفترة من (492 - 546هـ/ 1098 - 1151م) [3]. وقد شهد الكانم في عهده ازدهاراً كبيراً كما بُنيت في عهده مدرسة ابن رشيق في مصر[4] ، ومن الملوك المشهورين الماى دونمة ابن سالما بن بكر (618 - 658هـ/ 1221 - 1259م) الذي اشتهر بخوضه حروباً ضد قبائل البولاله وأخضعها ، كما أقام علاقات مع دولة الحفصيين، واستطاع أن يصل بحدود الدولة شرقاً إلى مشارف وادي النيل ، وغرباً قرب نهر النيجر ، ووصل شمالاً إلى فزان في ليبيا[5] .

وقد أصاب الضعف دولة الكانم نتيجة الانقسامات داخل البيت الحاكم ، وظهور

---

1 - ابن فضل الله العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص 47.

2- رجب محمد عبد الحليم ، مملكة الكانم والبرنو ، الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص 194.

3 - المرجع السابق ، جـ2 ، ص 194.

4 - مدرسة ابن رشيق : تقع بخط حمام الويش ، بناها تجار الكانم ، وأعطوا مالاً للقاضي علم الدين ابن رشيق . والمدرسة عُرفت باسمه ، انظر المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 318 .

5 - المصدر السابق ، جـ2 ، ص 195.

قبائل الصو التي كانت تسكن في إقليم البرنو واشتداد خطر قبائل البولاله الذين استطاعوا إقامة سلطنة في حوض بحيرة (فترى) ، وقد استطاع السلطان عبد الجليل سلطان بولاله شن حرب ضد مملكة الكانم وطرد الأسرة الحاكمة من هذا الإقليم إلى إقليم برنو مما أدى لقيام مملكة البرنو[1] .

تقع مملكة البرنو في غرب بحيرة تشاد ، وكان يجاورها من الشمال تونس ،وعاصمتها مدينة نجزر جامو . وقد عَظُم شأن هذه الدولة وأصبحت شهرتها ملء الآفاق ، واعتبر المؤرخون مالكها أحد ملوك الدنيا الأربعة[2] .

وكان من أشهر الملوك الذين حكموا البرنو الماي عمر بن إدريس (788 - 794هـ/ 1386 - 1391م) الذي أسس حكومة قوية حكمت البلاد ، وأيضاً الماي إدريس ابن عائشة (909 - 933هـ/ 1503 - 1526م) الذي استطاع الانتصار على سلاطين البولاله ، واشتهر أيضاً من السلاطين الماي علي بن إدريس (952 - 953هـ/ 1545 - 1546م) الذي واصل الحرب ضد البولاله[3].

وقد تعرضت دولة البرنو لأخطار عديدة أسهمت في انهيارها ، منها تولي حكام ضعاف أمور السلطنة لدرجة أنهم بلغوا حوالي خمسة عشر سلطاناً في مدة قرنين ونصف . كما تعرضت البلاد لعدد من المجاعات استمرت إحداها حوالي أربع سنوات ، بالإضافة لتعرض الدولة لخطر الهجوم من قبائل وثنية كانت تعيش في منطقة جومبي ، وقد استطاعت هذه القبائل قتل أحد المايات في عام 1027هـ/ 1618م . كل هذه العوامل أسهمت في انهيار الدولة[4].

---

1 - المرجع نفسه ، جـ2 ، ص 194 .

2 - ملوك الدنيا الأربعة هم ملوك مصر وبغداد والبرنو ومالي . انظر محمود كعت : الفتاش في أخبار البلدان ، برلين، 1913 ، ص 1.

3 - رجب محمد عبد الحليم : امبراطورية البرنو ،الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص 195.

4 - المرجع السابق ، جـ2 ، ص 196 ، 197.

أما عن العلاقة مع مصر، فكان أهالي برنو ينظرون لمصر على أنها أم الدنيا[1]، وكانت توجد علاقات ثقافية مع مصر ممثلة في إرسال الطلاب للأزهر وتخصيص رواق لهم به يسمى رواق البرنوية سبق الحديث عنه، بالإضافة للمكاتبات التي كانت تُوجَّه من ديوان الإنشاء لسلاطين هذه الدولة[2].

رابعاً : دول السودان الشرقي :

أ- دولة الكنوز الإسلامية (723 - 926هـ/ 1323 -1520م) :

قامت هذه الدولة في بلاد النوبة الشمالية، وأسسها عرب الكنوز من قبيلة ربيعة التي سكنت في جنوب مصر[3]. وقامت بمصاهرة حكام البجة، ونتيجة للمصاهرة بينهما وبين البجة[4]، بدأ الحكم ينتقل تدريجيًا إلى أمراء بني ربيعة. وقد استطاعت هذه القبيلة مد سلطانها ونفوذها من عيذاب إلى أسوان في منتصف القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي.

وقد اتسعت هذه الإمارة في عهد أبي المكارم هبة الله الذي استطاع تأسيس إمارة امتدت من قوص إلى أسوان، كما ضمت أجزاء من النوبة الشمالية تُعرف باسم مريس. وقد استطاع أبو المكارم هبة الله القضاء على ثورة أبي ركوة التي قام بها ضد الدولة الفاطمية في 397هـ/ 1006م. ونتيجة لهذا العمل أطلق الحاكم لأمر الله لقب كنز الدولة على أبي المكارم هبة الله، وهو الاسم الذي ستُعرف به الدولة بعد ذلك[5].

ورغم العلاقات الجيدة بين الفاطميين وبني كنز، لم يتوان بنو كنز في القيام بمحاولة تمرد ضد الدولة الفاطمية، مستغلين بذلك الأزمة الاقتصادية التي حدثت في مصر في

---

1 - إبراهيم علي طرخان : امبراطورية البرنو، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1975م، ص 172.

2 - ابن فضل الله : التعريف بالمصطلح الشريف، ص 46.

3 - ابن حوقل : صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون، ص 51.

4 - المقريزي : الخطط، جـ1، ص 369، 370.

5 - المقريزي : البيان والإعراب، مطبعة المعارف، القاهرة، 1976م، ص 44، 46.

عهد الخليفة المستنصر بالله في الفترة (457 - 464هـ/ 1064 - 1073م) وقاموا بإعلان استقلالهم عن مصر في عام 466هـ/ 1075م ، ولكن الدولة الفاطمية استطاعت القضاء على الثورة ، وأصدرت عفواً عن بني كنز بعد توسط ملك النوبة الذي كان يهمه بقاء إمارة بني كنز كحاجز بينه وبين الفاطميين[1].

أما عن أحوال بني كنز في عهد الأيوبيين . فقد بدأ بنو كنز في مد يد المساعدة وإظهار روح التعاون للأيوبيين . وكان من مظاهر هذا التعاون تقديم المساعدة لصلاح الدين الأيوبي في حروبه ضد بقايا ملوك الفاطميين الذين قاموا بمهاجمة أسوان في سنة 568هـ/ 1172م . كما تعاون أمراء دولة بني كنز مع الحملات التي أرسلها صلاح الدين الأيوبي لغزو بلاد النوبة[2].

ولكن العلاقات بدأت تسوء بعد قيام صلاح الدين بتعيين أحد أمراء البيت الأيوبي في حكم أسوان بدلاً من بني كنز ، فقاموا بثورة ضده . وقد استطاع صلاح الدين توجيه ضربة عسكرية له كان من آثارها قيامهم بالنزوح لمنطقة الجنوب والتوغل في مملكة مقرة المسيحية وبعد قيام بني كنز بالهجرة للجنوب استطاعوا تأسيس دولة جديدة في بلاد النوبة ، وقد جوبهت هذه الدولة بالرفض من دولة المماليك الذين كانوا لا يرغبون في قيام أي حكم ذي صفة عربية[3] ، ولذلك قاموا بتوجيه جيوش لمحاربة بني كنز وأيضاً لمحاربة مملكة مقرة المسيحية يتمثل ذلك في إرسال الظاهر بيبرس ثلاث حملات عسكرية كان من نتائجها إخضاع مملكة مقرة المسيحية . ولكن بني كنز تعاونوا مع المماليك وكان من نتائج هذا التعاون إقرار بني كنز على ما بيدهم من أراضي مملكة مقرة[4] .

وكان من مظاهر هذا التعاون أيضاً تقديم بني كنز المساعدات للحملة التي أرسلها المنصور قلاوون في عام 688هـ/ 1289م والتي أرسلت لتأديب النوبيين في مملكة مقرة[5].

---

1 - المقريزي : البيان والإعراب ، ص 44 - 46.

2 - لمزيد من التفصيل عن هذه الحروب انظر أبو شامة : الروضتين ، ص 600 - 601.

3 - رجب محمد عبد الحليم : بنو كنز ، الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص 231.

4 - القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ5 ، ص 277.

5 - القلقشندي : المصدر السابق ، جـ5 ، ص 277.

ولكن في عهد الناصر محمد بن قلاوون بدأت بشائر الصدام بين المماليك والأمراء الكنوز ، وخصوصاً بعد تعيين ملك نوبي يدعى عبد الله برشمبو في عام 716هـ/ 1316م، واعترض كرنبس ملك النوبة ورشح للحكم ابن أخته كنز الدولة ابن شجاع الدين نصر بحجة أنه الأحق بالوراثة طبقاً للنظام الوراثي المعمول به في بلاد النوبة[1] ، ولكن الملك الناصر رفض تعيين كنز الدولة الشجاع ، فقام كنز الدولة بقتل عبد الله برشمبو ، ولذلك أرسل الملك الناصر عدة حملات أسفرت عن تعيين كرنبس ملكاً على النوبة مقابل القبض على كنز الدولة . ولكن كنز الدولة تصدى لكرنبس فاضطر السلطان الناصر للاعتراف به ملكاً على النوبة[2] في عام 723هـ/ 1323م ، وبذلك قامت دولة الكنوز في النوبة والسودان .

أما عن العلاقة التي كانت تربط المماليك وبني كنز فكانت مجرد رباط روحي ، وكان ملوك بني كنز يرسلون الهدايا لسلاطين المماليك . وكان لحاكم دولة الكنوز رسم في المكاتبات التي كانت تصدر عن دار الإنشاء في مصر . ونصها كالتالي «صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس الجليل ، الكبير ، الغازي ، المجاهد ، المؤيد ... الخ[3]» .

وقد حاول بنو كنز إعلان استقلالهم عن دولة المماليك مستغلين قيام مجاعات في مصر ، وقاموا بمهاجمة أسوان في عام 767هـ/ 1365م وسيطروا على عيذاب[4] .

ولكن تضافرت عوامل كثيرة أدت في النهاية لإضعاف دولة الكنوز ، من هذه العوامل الانقسام بين أفراد الأسرة الكنزية ، بالإضافة لمزاحمة القبائل العربية مثل هوارة لبني كنز ، وكان السقوط الحقيقي لدولة الكنوز على يد الأتراك العثمانيين حيث أرسلوا حملة في عام 926هـ/ 1520م استطاعت بعد مناوشات القضاء على هذه الدولة[5] .

---

1 - رجب محمد عبد الحليم : دولة بني كنز ، الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص 223.

2 - القلقشندي : المصدر السابق ، جـ5 ، ص 277.

3 - ابن فضل الله العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص 48.

4 - المرجع السابق ، جـ2 ، ص 235.

5 - رجب محمد عبد الحليم: مرجع سبق ذكره ، جـ2 ، ص 238.

ب – سلطنة دارفور الإسلامية (849 – 1292هـ/ 1445 – 1875م) :

لبلاد دارفور طبيعة خاصة ، فهي عبارة عن هضبة تنتشر فيها مَراعٍ طبيعية ، وتتخللها بعض المرتفعات ومن أشهرها جبل مُرة . كما أن السكان في هذه السلطنة كانوا عبارة عن خليط من الزنوج والحاميين بالإضافة لشعب هاجر إليها من الشرق يسمى الداجو[1] ، بالإضافة لقدوم شعب التنجور في تونس للعيش في هذه البلاد فراراً من غارات قبائل بني هلال[2]. وتذكر بعض الروايات في دارفور أنسابهم إلى بني العباس ، ومؤسس دولتهم يسمى أحمد شعبان المعقور[3] الذي أتى لبلاد الفور ، وصاهر الملك وأنجب ولداً سماه سليمان . وقد عمل أحمد المعقور كمستشار للملك ونظم شئون السلطنة ، وبعد وفاة ملك الفور تولى أحمد الحكم .

ويأتي على رأس قائمة الملوك المشهورين الذين حكموا سلطنة دارفور ، الملك سليمان سولون[4] (848 – 880هـ/1445 – 1476م) وهو ينتمي لإحدى السلالات العربية المهاجرة لدارفور ، وقد استقدم هذا السلطان قبائل عربية وفتح باب الهجرة لهم فقدمت لهم قبائل الحبانية ، والرزيقات والمسيرية ، والتعايشة للإقامة في دارفور. وقد بلغت مدة حكم هذا السلطان ما يقرب من اثنين وثلاثين سنة[5].

أما عن نظام الحكم في دارفور فكان حكماً ملكياً أو سلطانياً ويعين الملك على الأقاليم نواباً له من أهالي الإقليم ، ثم عدل هذا النظام وأصبح حكام الأقاليم من حاشية الملك ويسمى الواحد منهم مقدوم[6]. وكان يعاون الملك الوزير وهو الذي يتولى إدارة

---

1 – التونسي : تشحيذ الأذهان ، ص136 :147.

2 – المصدر السابق ، هامش رقم 3 .

3 – السبب في تسمية أحمد شعبان المعقور ، نتيجة لإصابته بجرح بعد أن ضربه أخوه في مقدمه ، نتيجة لاتهام امرأة أخيه بأنه يغازلها بعد أن فشلت في غوايته . انظر نعوم شقير ، تاريخ السودان القديم ، ملحق بكتاب تشحيذ الأذهان ، ص 368.

4 – المصدر السابق ، ص 139.

5 – المصدر السابق ، ص 371.

6 – نعوم شقير : نفسه ، ص 399.

شئون السلطنة من الناحية السياسية والإدارية ، بالإضافة لمنصب (أبو شيخ) وهو كبير الخصيان ومسئول عن قانون دالي[1] ، ويأتي أيضاً من طبقة الحكام ملك النحاس[2] ، وملك دادات السلطان[3] .

أما عن العلاقات مع مصر فكانت معبراً للقبائل التي هاجرت إلى بلاد دارفور ، كما كان هناك علاقات تجارية نظراً لوجود درب الأربعين في مصر والذي كان يعتبر معبراً لطرق القوافل إلى دارفور . كما وجدت علاقات ثقافية تمثلت في قدوم طلاب من هذه البلاد للدراسة بالأزهر الذي قام بتخصيص رواق لهم يسمى رواق الفور.

ج - سلطنة الفونج (910 - 1236هـ/ 1505 - 1820م) :

تعددت الروايات التي تحدثت عن أصل الفونج ، فقيل إن أصل الفونج تعود لسلالة أُموية هاجرت لبلاد السودان فراراً من العباسيين[4] ، وبعض الروايات تعود بأصولهم إلى قبائل عربية هاجرت إلى منطقة القرن الأفريقي ثم إلى بلاد السودان[5].

وقد قامت هذه القبائل بالمصاهرة مع ملوك السودان وتحالفوا معهم ، وعملوا على مد نفوذهم على حساب مملكة كلوة المسيحية. وقد قام تحالف بين عمارة دونقس (910 - 941هـ/ 1505 - 1543م) زعيم الفونج وبين عرب القواسمة الذين ينتمون لقبيلة الكواهلة بزعامة الشيخ عبد الله جماع[6] . وكان من نتائج هذا التحالف هو تمكنها

---

1 - قانون دالي : هو القانون العرفي لبلاد دارفور ، ومعنى دالي لسان السلطان وأوامره ، وكان يقوم على تنفيذه المقدوم . انظر نعوم شقير تاريخ سلطنة دارفور ملحق تشحيذ الأذهان ، ص 401 .

2 - ملك النحاس : هو الشخص المسئول عن الطبول السلطانية ، كما أنه يعتبر من رجال الإدارة المركزية ، ويتولى توزيع الطعام على الجيش . انظر :المرجع السابق ، ص 387 ،400 ، 411 .

3 - ملك دادات السلطان : أي المسئول عن نوع من العبيد ، الذين ينشأون مع أبناء السلطان ، ويعتبرهم إخوة . انظر التونسي : المصدر السابق ، هامش ص 104.

4 - رجب محمد عبد الحليم : سلطنة الفونج ، الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص 239.

5 - المرجع السابق ، جـ2 ، ص 239.

6 - رجب محمد عبدالحليم: مرجع سبق ذكره ، ص 240 . وانظر أيضاً ، Trimingham : Islam in the Sudan ، Oxford ، 1949 ، p.58 .

من القضاء على مملكة كلوة المسيحية عام 910هـ/ 1505م وبالتالي قيام مملكة الفونج الإسلامية التي عُرفت أيضاً باسم المملكة الزرقاء[1] . واتخذت مدينة سنار عاصمة لها[2].

وقد امتدت حدود دولة الفونج إلى أقصى اتساع لها في عهد بادي أبو دقن (1642 - 1677م) وامتدت من الشلال إلى النيل الأزرق ومن البحر الأحمر إلى كردفان[3] .

وقد كان لهذه المملكة دور كبير في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في السودان ، وكان الأسلوب السلمي هو المستخدم لنشر الإسلام بالإضافة لاستقبالهم الدعاة القادمين من مصر وبلاد الحجاز والمغرب والعراق[4] ، بالإضافة لقيام سلاطين هذه الدولة بتشجيع إنشاء الخلاوي ومدارس العلم التي خرّجت كثيراً من علماء بلاد السودان .

وقد انهارت دولة الفونج نتيجة انفكاك عرى الاتحاد مع عرب القواسمة وازدياد رغبات الانفصال التي اعترت بعض المشيخات، وضعف الحكام . وظلت تلك الأحوال سائدة في مملكة الفونج حتى انتهت على يد الفتح المصري[5] عام 1820م .

أما عن العلاقات مع مصر فنظراً لقرب مصر من بلاد السودان فقد شهدت سلطنة الفونج قدوم علماء مصريين أزهريين لنشر الإسلام مثل الشيخ محمود قصير العركي وشهدت فترة حكم عمارة دونقس قدوم هؤلاء العلماء بالإضافة لسفر طلاب العلم السودانيين لتلقي العلم في مصر ، وخاصة في الجامع الأزهر الذي خُصّص لهم رواق يسمى رواق السنارية[6] .

---

1 - حسن سليمان محمود : تاريخ السودان منذ أقدم العصور ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1957 ، ص 47 .

2 - ود ضيف الله : الطبقات في خصوص الأولياء ، المكتبة الأهلية ، الخرطوم ، السودان ، 1930 ، ص 5.

3 - رجب محمد عبدالحليم : سلطنة الفونج ، ص 241.

4 - ود ضيف الله : الطبقات ، ص 5.

5 - حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، دار الفكر العربي ، ص 320.

6 - القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 5 ، ص 324.

خامساً : دول منطقة القرن الأفريقي :

وبالنسبة لهذه المنطقة فقد ظهرت فيها عدة ممالك ،كان يُطلق عليها اسم ممالك الطراز الإسلامي[1] وتمتد مساحة هذه البلاد من ميناء مصوع شمالاً حتى إقليم الأوجادين جنوباً ومن رأس غور دافوي شرقاً حتى هضبة الحبشة غرباً[2] .

وكانت ممالك الطراز الإسلامي لا تجمعها وحدة سياسية ، بل كانت عبارة عن عدة ممالك مستقلة ، تخضع أحياناً لملك الحبشة الذي كان يأخذ منها الجزية سنوياً[3] وأحياناً تتوحد لتكون سلطنة واحدة ، ومن أشهر هذه الممالك أو السلطنات :

أ - سلطنة أوفات (648 - 705هـ/ 1250 - 1402م) :

أسس هذه السلطنة نفر من قبيلة قريش من بني عبد الدار . وكان يطلق على عاصمتها اسم جبرت وتقع غرب بلاد زيلع بالداخل . وكانت تتحكم في الطريق التجاري الذي يربط بلاد الزيلع بالداخل[4].

ومن أشهر الحكام عمر ولشمع الذي أنشأ السلطنة على حساب سلطنة شوا الإسلامية التي هاجمها انتقاماً لمقتل زوج ابنته ،وبلغ اتساع هذه الدولة مدى كبيراً حتى أنها أصبحت تفوق مملكة الحبشة في المساحة ، مما ترتب عليه عزل الحبشة عن العالم الخارجي ولذلك عندما تولت الأسرة السليمانية حكم الحبشة في عام 699هـ/ 1270م دخلت في حروب مع سلطنة أوفات وخصوصاً في عهد الملك الحبشي ياجيبا صيون (684 - 694هـ/ 1285 - 1294 م) الذي استطاع الانتصار على سلطنة أوفات بسبب

---

1 - رجب محمد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة ، دار النهضة العربية، القاهرة ، 1980 ، ص15.

2 - المقريزي : الإلمام بأخبار عما بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، مطبعة لجنة التأليف ،القاهرة ، 1985 ، ص8.

3 - المقريزي : الإلمام بأخبار عما بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ،مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ، 1985 ، ص8.

4 - رجب محمد عبد الحليم : سلطنة أوفات الإسلامية ، الموسوعة الأفريقية ، م2، ص 264.

عدم اتحاد أوفات مع بقية ممالك الزيلع[1].

وقد استمرت الحروب بين الفريقين وخصوصاً بعد تدعيم المسلمين لقوتهم وتقديم دولة المماليك الدعم السياسي لسلطنة أوفات . وبعد وفاة ملك الحبشة في سنة 698هـ/ 1299م قام الشيخ محمد أبو عبد الله بتجميع قبائل الجلا والصومال وغزا الحبشة[2] ، وقد نتج عن هذا الغزو انسحاب ملك الحبشة من بضع ولايات إسلامية كان قد استولى عليها من قبل ، كما تجددت الغزوات في عهد سلطان أوفات حق الدين الذي غزا الحبشة وقام بإحراق الكنائس وأجبر السكان على اعتناق الإسلام رداً على ما فعله الأحباش بالمسلمين ومساجدهم ، فقام ملك الحبشة بغزو أوفات وعزل حق الدين وعيّن بدلاً منه صبر الدين ، وقد حاول صبر الدين التنصل من التبعية للأحباش ودخل في حلف مع إمارة هدية ودوارو ، ونجح بعض الشيء ، ولكن ملك الحبشة استطاع التخلص من هذا الحلف والقضاء عليه[3] .

وقد تميزت هذه الدولة بقوة جيشها الذي بلغ عدد قواته حوالي خمسة عشر ألف فارس وعدد المشاة أكثر من عشرين ألفاً ، كما تميزت بوفرة أراضيها الخصبة نظراً لوفرة المياه ، كما تميزت أيضاً برخص أسعارها ، ونتيجة لذلك تزعمت بلاد الزيلع[4] .

وقد ضعفت دولة أوفات بسبب النزاع الذي قام بين أفراد الأسرة الحاكمة ، هذا النزاع الذي أدى لانفراد حق الدين الثاني بالحكم ، وقام بالاستقلال عن الأحباش ، بالإضافة لقيام الأحباش بمحاربة سلطنة أوفات ونجحوا في النهاية في إضعافها والسيطرة على كثير من نواحيها[5] .

---

1 - ابن حجر : إنباء الغمر بأبناء العمر ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1994م ، جـ2 ، ص237.

2 - المقريزي : السلوك ، جـ1 ، قسم 3 ، ص116.

3 - رجب عبد الحليم : العلاقة السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة ، ص144.

4 - رجب محمد عبد الحليم : سلطنة عدل ، الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص269.

5 - رجب محمد عبدالحليم : المرجع السابق ، ص144.

ب- سلطنة عدل (817 - 985هـ/ 1414 - 1577م) :

افتتح هذه المدينة بنو ولشمع بعد أن تم له القضاء على سلطنة شوا ، وكانت تضم المناطق التي تقع بين ميناء زيلع وهرر[1] .

من أشهر حكام هذه الدولة صبر الدين الثاني الذي واصل الحروب ضد الحبشة وقاد ضدها حرب العصابات حتى وفاته في عام (826هـ/ 1422م) واشتهر أيضاً المنصور الذي استطاع حشد المسلمين ضد ملك الأحباش وانتصر عليهم ، مما حدا بالملك إسحاق بن داود ملك الحبشة إلى محاربة جيش المنصور الذي تم أسره في عام[2] (829هـ/ 1452م) فقام أخوه جمال الدين لمحاربة الأحباش ولكنه قتل على يد بني عمومته في سنة (839هـ/ 1432م) وتولى من بعده شهاب الدين أحمد الذي تمكن من الانتقام لمقتل أخيه وحارب الأحباش واسترد إمارة بالي ولكنه قُتِل في عام (848هـ/ 1444م)[3] .

وقد تضافرت عدة عوامل ساعدت على ضعف سلطنة عدل منها ظهور البرتغاليين كقوة عسكرية جديدة في المنطقة تحالفت مع الأحباش هذا التحالف الذي أسفر عن مقتل أحمد القرين[4] . وعلى الرغم من قيام خلفائه من بعده بالقتال إلا أن الأمر أدى في النهاية إلى سيطرة الأحباش على كثير من تلك المناطق[5].

ولم يقتصر الأمر في منطقة القرن الأفريقي على سلطنة أوفات وعدل فقط ، بل

---

1 - رجب محمد عبد الحليم : نفسه ، الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص 269.

2 - المقريزي : السلوك ، جـ 4 ، قسم 2 ، ص 649.

3 - المرجع السابق ، جـ2 ، ص 271.

4 - أحمد القرين : أحمد بن إبراهيم الغازي ، كان من فرسان الجراد آبون ، وبعد مقتل الجراد آبون ، استقل أحمد القرين بعسكره في بلدة هوبيت ، وقد استطاع هزيمة الأحباش في عدة معارك ، واستشهد في عام 858هـ/ 1435م ، وقد أصلح أحوال الرعية وأكرم طبقة العلماء والفقهاء . انظر عرب فقيه : فتوح الحبشة ، نشر دينه بياسيه ، بدون ، ص 6 ، 7.

5 - رجب محمد عبد الحليم : الصراع بين مسلمي الزيلع ، ص 21.

ظهرت عدة إمارات أخرى مثل سلطنة فطجار التي كانت تقع في مكان متوسط بالنسبة للسلطنات الإسلامية ، وكانت تتميز بقوة عسكرية كبيرة إذ بلغ عدد أفراد جيشها عشرة آلاف فارس ، كما ازدهرت اقتصادياً نتيجة لخصوبة التربة ووفرة المياه اللازمة للزراعة[1]. يضاف إلى ذلك وجود ممالك إسلامية أخرى صغيرة مثل سلطنة دوارو ومملكة بالي ومملكة أرابني وغيرها .

أما عن أحوال السكان في بلاد زيلع ، فقد كانوا يتميزون بالمحافظة على شئون الدين ، وانتشرت بينهم طائفة كبيرة من الزهاد والنساك وكان يسود فيهم المذهب الحنفي والشافعي.[2] وكان التعامل يتم بواسطة ثلاث طرق وهي نظام المقايضة ونظام التعامل المالي بالدنانير وطريقة الخنكات وهي عبارة عن قطع من الحديد بطول الإبرة وإن كانت أعرض منها ويتم التعامل بها[3].

ولا يمكن اختتام الحديث عن ذكر بلاد الزيلع دون ذكر علاقة مصر بهذه البلاد ، حيث تنوعت العلاقات ما بين علاقات سياسية وثقافية . فمن حيث العلاقات السياسية ، كانت مصر كثيراً ما تتدخل لصالح هذه البلاد عند حكام الحبشة ، كما كان السكان يستنجدون بمصر ضد ممارسات الحبشة العدائية[4] بالإضافة لوجود صيغ مكاتبة خاصة بهذه الممالك[5].

كما شهدت مصر وبلاد الزيلع علاقة ثقافية حيث كان يأتي إليها طلاب العلم الزيالعة للدراسة في الأزهر الشريف وكان لهم رواق مخصص داخل الجامع يُعرف برواق الجبرت[6].

---

1 - المقريزي : الإلمام ، ص 26.
2 - القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ 5 ، ص 324.
3 - المصدر السابق ، جـ 5 ، ص 331.
4 - نفسه ، جـ 5 ، ص 333.
5 - العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص 48.
6 - سيأتي في الحديث عن الأروقة بالتفصيل في الفصل القادم.

سادساً : دول منطقة الساحل الشرقي الأفريقي :

أ - سلطنة مقدشو الإسلامية (292 - 1067هـ/ 905 - 1656م)

قامت هذه السلطنة في الصومال الجنوبي ، وتنتمي العناصر السكانية فيها إلى الكوش الحاميين مثل قبائل الجلا والدناكل بالإضافة لمهاجرين عرب استطاعوا إقامة مراكز تجارية في مقدشو وبراوة وكسمايو . ومن أشهر الهجرات التي تعرضت لها المنطقة هي هجرة الزيديين وهجرة الإخوة السبعة من بني الحارث للصومال في عام 292هـ/ 903م والذين أسسوا مدينة مقدشو عام 295هـ/ 906م ، كما أسسوا أسرة حكمت البلاد[1] .

وقد اتسع نفوذ دولة مقدشو على الساحل ، وازدهرت اقتصادياً بسبب النشاط التجاري والزراعي المزدهر فيها ، كما انتشرت بها المباني الزاهرة ، وقد أصبحت مقدشو مركزاً للمسلمين وأقيمت صلاة الجمعة في مساجدها[2].

وكان لوجود هذه السلطنة أثر كبير في حركة التعريب التي قامت في هذه المنطقة فتم تعريب القبائل الصومالية ، كما انتشر الإسلام في تلك الأصقاع . وقد زار ابن بطوطة هذه السلطنة تاركاً لنا وصفاً عن طعام وملابس وأسلوب معيشة سكانها[3]. كما زار سكانها وكتب عنهم في رحلته المشهورة[4] . كما اشتهرت تلك السلطنة بصناعة المنسوجات وكانت تصدّرها لمعظم أنحاء العالم الإسلامي بالإضافة لشهرتها في تجارة العاج والذهب وجوز الهند والدقيق[5].

---

1 - رجب محمد عبد الحليم : العثمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام ، مكتبة العلوم ، مسقط ، عمان ، 1989م ، ص 217.

2 - رجب محمد عبد الحليم : سلطنة مقدشو ، الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص 282 ، 283.

3 - ابن بطوطة : الرحلة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار ، دار التحرير ، القاهرة ، 1916م ، ص 107.

4 - المصدر السابق ، ص 168 - 173.

5 - حسن أحمد محمود : مرجع سبق ذكره ، ص 249.

وقد ضعفت هذه السلطنة لعوامل عديدة منها ، تعرُّضها لغزو برتغالي في عام 904هـ/ 1498م استولى فيه البرتغاليون على مدينة براوة في عام 913هـ/ 1507م كما حاصروا بربرة في عام 922هـ/ 1516م فاضطر سلطان مقديشو للتحالف مع العثمانيين الذين أرسلوا أسطولاً بحرياً في عام 1076هـ/ 1656م واستطاع إبعاد خطر البرتغاليين[1].

أما عن العلاقة مع مصر فقد وُجدت علاقات تجارية وثقافية تمثلت في وجود مصنوعات مصرية في هذه السلطنة ، وفي قدوم طلبة للتعلُّم في الأزهر الشريف .

ب- سلطنة كلوة (365 - 911هـ/ 975 - 1505م) :

تأسست هذه السلطنة على يد أسرة من شيراز بزعامة علي بن حسن بن علي قد نزلوا جزيرة كلوة واستقر فيها عام 365هـ/ 975م وقد استطاع علي بن حسن بن علي مد نفوذه إلى سفاله جنوباً وممبسة شمالاً . وبعد وفاته تمكن ابنه من السيطرة على كلوة بعد قمع حركة تمرد ضده من القبائل الأفريقية كما حرم سلطنة مقدشو من التجارة بينها وبين سفاله[2].

ونظراً لقيام الفرس بإنشاء السلطنة تركوا الأثر الفارسي على نمط الحياة خاصة في المباني التي كانت تقام من الأحجار بالإضافة لبناء المساجد التي بهرت أنظار الرحالة المسلمين. وقد انتقل الحكم بعد ذلك لأسرة عربية عام 767هـ/ 1277م في عهد السلطان ابن المظفر حسن واستمر الحكم عربياً حتى عام 911هـ/ 1505م[3].

وقد انتشر المذهب الشافعي في هذه السلطنة واهتم الحكام باستقدام العلماء كما كان هؤلاء الحكام يغيرون على القبائل الأفريقية الزنجية للقضاء على تهديدها وهجومها

---

1 - رجب عبدالحليم : سلطنة مقدشو ، الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص284.

2 - رجب عبدالحليم : المرجع السابق ، جـ2 ، ص 286.

3 - مجهول : السلوة في أخبار كلوة ، ص 33.

على السلطنة[1].

وقد كان السبب في ازدهار اقتصاد هذه السلطنة جمعها الضرائب على التجارة وسيطرتها على مناجم الذهب في منطقة سفاله وفي الداخل، كما انتشرت حرفة الزراعة بين السكان مما جعل اقتصاد البلاد قوياً[2].

ولكن كالعادة ونتيجة للاضطرابات الداخلية، وظهور قوة بات وازدهارها الاقتصادي قام حكامها من أسرة بني نبهان العربية بالتحكم في شئون كلوة فضعفت هذه السلطنة، مما جعل البرتغاليين ينجحون في السيطرة على كلوة ويحتلونها[3] عام (911هـ/ 1505م).

ج - سلطنة بات (600 - 1287هـ/ 1203 - 1861م):

أسست هذه السلطنة هجرة عربية من عمان هاجرت لساحل شرق أفريقيا في بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي. وهذه الأسرة كانت في عمان بزعامة سلمان بن سلمان بن مظفر النبهاني[4] الذي كان أحد ملوك النبهاونية[5] في عمان. وقد استقر في مدينة بات وحكم جزءاً كبيراً من الساحل وتزوج من أميرة سواحلية وورث الحكم من أبيها.

ومن أشهر ملوك الدولة النبهانية محمد الثاني بن أحمد (691 - 722هـ/ 1291 - 1331م) الذي استطاع التوسع شمالاً وأخضع المدن الساحلية. وأيضاً السلطان عمر الأول (722 - 760هـ/ 1331 - 1358م) الذي حارب كثيراً من المدن الساحلية

1 - رجب عبد الحليم: سلطنة كلوة، الموسوعة الأفريقية، جـ2، ص287.

2 - حسن أحمد محمود: مرجع سبق ذكره، ص 429.

3 - رجب محمد عبد الحليم: سلطنة كلوة، ص 289.

4 - رجب محمد عبد الحليم: سلطنة بات، المرجع السابق جـ2، ص 289.

5 - المرجع السابق، ص 289.

ووصل لجزيرة كيرمبا حتى رأس دلجارو في الصومال ومد نفوذه لمدينة ممبسة[1] .وقد ازدهرت دولة النبهانيين في بات ونشطت التجارة ، وازداد ثراء الأهالي وأقاموا منازل مبنية بالأحجار وتم تخطيط المباني ونقشها وزخرفة الأبواب والنوافذ[2].وقد ظهرت في فترة سلطنة بات اللغة السواحيلية التي ظهرت نتيجة لتزاوج العرب والزنوج وقد أصبحت هذه اللغة لغة التجار والسكان وانتشرت في منطقة شرق ووسط أفريقيا[3].

وقد تعرضت دولة بني نبهان للخطر البرتغالي مع فشل مثيلاتها في دول الساحل الشرقي الأفريقي الإسلامية ، بالإضافة لعدم قيام تعاون ووحدة بين هذه الدول مما ساعد على سهولة سقوطها في يد البرتغاليين[4] .

1 -مرجب محمد عبدالحليم: سلطنة بات ، جـ2 ، ص 29.
2 -حسن أحمد محمود : مرجع سبق ذكره ، ص 434.
3 -المرجع السابق ، ص293.
4 -حسن أحمد محمود : نفس المرجع ،ص 434.

2 - دور الأزهر الديني في الممالك الإسلامية

تميز دور الأزهر في الدول الأفريقية التي سبق الحديث عنها بالتنوع والتعدد ، فقد ساهم في نشر الإسلام في العديد من هذه الدول ، وكانت له أدوار أخرى يأتي الحديث عنها في حينه من هذا البحث . ونبدأ الحديث بدوره في نشر الإسلام في بعض مناطق القارة الأفريقية .

جهود الأزهر في نشر الإسلام في بعض مناطق القارة :

عند ذكر دور الأزهر في نشر الإسلام في بعض بلدان القارة يكون مفيداً أن نتحدث أولاً عن انتشار الإسلام قبل قيام الأزهر بدوره في هذا المضمار ، ثم نتبعه بالحديث عن دور الأزهر في هذا المجال . والحديث عن انتشار الإسلام قبل الأزهر يوضح لنا السمات التي تميز بها هذا الانتشار ، فقد تنوعت وسائل انتشار الإسلام وتعددت ، فمنها ما تم نتيجة لحركة الفتوح الإسلامية ، ومنها ما غلب عليه الطابع السلمي ، يتضح ذلك من خلال استعراض تاريخ انتشار الإسلام في القارة .

أولاً : منطقة الشمال الأفريقي :

تميز انتشار الإسلام في هذه المنطقة عقب الفتوح الإسلامية التي بدأت تأخذ طريقها لبلاد المغرب بعد إتمام العرب فتح مصر في عام 20هـ/ 640م عندما قام عمرو بن العاص على رأس جيش إلى برقة ، واستطاع أن يلزم أهلها بصلح على جزية سنوية يدفعونها[1] . وقد توقفت الفتوح في عهد عمرو بن العاص عند حدود برقة ولم يتجاوزها نظراً لوجود تعليمات مشددة من الخليفة عمر بن الخطاب بألّا يتجاوزها إلى ولاية أفريقية البيزنطية[2]. وفي عهد خلافة عثمان بن عفان أمر واليه على مصر عبد الله

---

1 - البلاذري : فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1983م ، ص 225، 226.

2 - ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، دار التعاون ، القاهرة ، 1974م ، ص 117.

ابن سعد بن أبي السرح بغزو ولاية أفريقية ، عن طريق إرسال جيش تمكن من غزوها وقتل عامل الروم عليها جريجير يوس[1] .

وبعد قيام الدولة الأموية ، واصلت هذه الدولة عملية الفتوح في بلاد المغرب ، حيث تبارى الخلفاء في إرسال الجيوش ، مرة بقيادة معاوية بن حديج[2] ، ومرتين بقيادة عقبة بن نافع الفهري الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للوجود الإسلامي في منطقة الشمال الأفريقي[3] ، حيث قام بإنشاء مدينة القيروان عام 55هـ/ 670م ، لكي تكون قاعدة عسكرية للمسلمين في منطقة الشمال الأفريقي ، ولكن عقبة استشهد على يد القبائل البربرية في أثناء عودته من إحدى الغزوات[4] وفي عهد ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر قام بإرسال عدة حملات مرة بقيادة «زهير بن قيس البلوي» ومرة بقيادة حسان ابن النعمان الذي انتقم لمقتل عقبة وهزم البربر بزعامة الكاهنة ، وبدأ حسان بن النعمان باستمالة القبائل البربرية إليه عن طريق إلحاقهم بالجيش[5] فانتشر الإسلام بينهم .

ولم يستقر المسلمون في بلاد المغرب إلا في عهد ولاية موسى بن نصير (85 - 95هـ/ 704 - 714م) والذي وصل في فتوحاته إلى بلاد طنجة وهبط جنوباً حتى بلغ منطقة السوس الأدنى ، وقام موسى بن نصير بنشر الإسلام هناك ، حيث ترك سبعة عشر رجلاً يعلّمون البربر القرآن الكريم وقواعد الإسلام[6] .

وكان من نتائج الفتوح الإسلامية في بلاد الشمال الأفريقي ، انتشار الإسلام بين القبائل البربرية ، على الرغم من طول المقاومة التي أبدوها ضد الفاتحين العرب ، وكثرة ارتدادهم عن الدين الإسلامي والتي بلغت كما يذكر ابن خلدون حوالي اثنتي عشرة

---

1 - محمد احمد بن تميم : طبقات علماء أفريقيا وتونس ، الدار التونسية للنشر ، 1968م ، ص 71 ، 72.

2 - المالكي : رياض النفوس في طبقات علماء أفريقيا ، النهضة المصرية ، 1951م ، جـ1 ، ص 17 ، 18.

3 - ابن عبد الحكم : مصدر سبق ذكره ، ص 132 ، 133.

4 - ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ1 ، ص 28.

5 - المصدر السابق ، جـ1 ، ص 37.

6 - نفسه ، جـ1 ، ص 42.

مرة[1] وإن ظلت بعض القبائل على وثنيتها لفترة كبيرة من الزمن[2].

وقد نتج عن انتشار الإسلام انتشار اللغة العربية ، ومن العوامل التي ساعدت على نشرها في بلاد الشمال الأفريقي استقرار العرب هناك منذ عصر الفتوحات الإسلامية ، وسياسة الدولة الإسلامية في تشجيع البربر على الدخول في الإسلام وفي التعريب كما ساعد على ذلك أيضاً هجرة قبائل بني هلال الذين استوطنوا منطقة الشمال الأفريقي قرب منتصف القرن الخامس للهجرة ، وعلى الرغم من التدمير الذي ألحقوه ببعض نواحي بلاد المغرب[3] إلا أنهم أسهموا في نشر اللغة العربية والإسلام في هذه البلاد .

ثانياً : منطقة غرب أفريقيا :

كانت هذه المنطقة تعرف باسم بلاد السودان الغربي ، وكان امتدادها الجغرافي يبدأ في المحيط الأطلنطي غرباً حتى منطقة سودان وادي النيل شرقاً وحدّها جبال أطلس والصحراء شمالاً وتمتد حتى نصاعة الغابات الاستوائية جنوباً.

وقد بدأت هذه المنطقة تعرف طريقها إلى الإسلام على يد قبائل الطوارق[4] ، وهي قبائل تنسب إلى صنهاجه ويرجعون نسبهم إلى قبائل حمير اليمنية ، وكانت مضارب هذه القبائل في المناطق المتاخمة لحدود بلاد الشمال الأفريقي وبلاد السودان[5] ، وكانوا يفرضون عليها المكوس ، وقد استطاع هؤلاء الطوارق في عهد دولة المرابطين وبقيادتها الاستيلاء على مدينة أودغشت وتحطيم مملكة غانة الوثنية في عام 469هـ/ 1076 م مما كان له أكبر الأثر في نشر الإسلام في هذه المملكة وما يحيط بها من بلدان[6].

---

1 - ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ 6 ، قسم 1 ، ص 220.

2 - البكري : المسالك والممالك ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، بدون ، ص 12.

3 - السيد عبد العزيز سالم : مرجع سبق ذكره ، ص 123.

4 - الطوارق : ويُعرفون بالملثمين لأنهم يتخذون اللثام على وجوههم والسبب في ذلك كما يقولون ، أنهم يعتبرون الفم بمثابة عورة يجب تغطيته . انظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 99.

5 - المصدر السابق ، ص 99.

6 - البكري : مصدر سبق ذكره ، ص 168.

كما قام التجار أيضاً بنشر الإسلام في منطقة الغرب الأفريقي حيث كانوا دعاة ولو عن طريق غير مباشر ، حيث كانوا يحتكون بالسكان بصفة يومية ، ونتيجة لهذا الاحتكاك بدأ الإسلام يعرف طريقه إلى قلوب الأفارقة ، وكان التجار يمثلون طبقة نشيطة في نشر الإسلام . كما كانت لهم مراكزهم التجارية المشهورة مثل مدينة جنى[1] ومدينة تمبكت[2] وغيرها.

كما لعبت الطرق الصوفية أيضاً دوراً مهماً في نشر الإسلام في تلك الأصقاع ، وأشهر الطرق التي تشرفت بحمل هذه الأمانة هي الطريقة القادرية التي انتشرت مراكزها في مدينة كنكا وتمبو[3] ، وكانت هذه الطريقة قد عرفت طريقها إلى بلاد السودان الغربي على يد صوفية قدموا من بلاد المغرب.

والملاحظ على انتشار الإسلام في منطقة الغرب الأفريقي هو إسلام الملوك أولاً ، ثم يتبعهم الرعية ، أو وجود مسلمين مع احتفاظ الملوك بوثنيتهم حتى يتم إسلامهم ، كما كانت الألقاب التي حملها الملوك المسلمون تحمل معنى كبيراً ، وهو اعتناقهم الإسلام الذي كان عن اقتناع تام دون قهر وإجبار ، ومن أمثلة هذه الألقاب اللقب الذي أطلق على (زاكسي) أول ملك مسلم في صنغي وهو لقب مسلم دام[4].

ثالثاً : بلاد النوبة والسودان :

بدأ احتكاك المسلمين ببلاد النوبة ، بعد فتحهم لمصر عندما أرسل عمرو بن العاص

---

1 – جنى : تأسست عام 435هـ(1043 – 1044م). وقد تسرب لها الإسلام منذ البداية واشتهرت هذه المدينة بكونها سوقاً لتجارة السلع والذهب . وقد خضعت المدينة للدولة صنغي . كما اشتهرت بكثرة العلماء. انظر السعدي: تاريخ السودان ، ص 11 ، 12 وأيضاً انظر توماس أرنولد : الدعوة للإسلام . ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون ، النهضة المصرية ، القاهرة ، 1957م ، ص 355.

2 – مدينة تمبكت : تأسست حوالي 494هـ/1100م وكانت مركزاً للثقافة الإسلامية في غرب أفريقيا ، وهي مدينة إسلامية الطابع ، بها جامع سنكري المشهور ، وكانت لها علاقة بالأزهر . انظر السعدي : المصدر السابق ، ص 21 – 22 وأيضاً أرنولد : المرجع السابق ، ص 355.

3 – أرنولد : مرجع سبق ذكره ، ص 365.

4 – السعدي : تاريخ السودان ، ص 3.

جيشاً بقيادة عقبة بن نافع لفتح بلاد النوبة ، ولكن لم يتم الفتح نظراً للمقاومة التي أبدتها بلاد النوبة للفاتحين المسلمين . وفي ولاية عبد الله بن سعد ، أرسلت فرقة عسكرية لبلاد النوبة[1] عام 31هـ/ 651م ولكنها جوبهت بمقاومة عنيفة من السكان ، فاضطر عبد الله ابن سعد لتوقيع صلح مع ملك النوبة عرف باسم البقط ، اتفق الطرفان فيه على أن تقدم بلاد النوبة عدداً معيناً من الرقيق نظير أن تقدم مصر لها بعض الغلات الزراعية وأن تكف يدها عنها[2] .

واستمرت ممالك النوبة المسيحية ، وهي مملكة مقرة وكلوة قائمتين ، حتى عصر سلاطين المماليك ، الذين أرسلوا عدة حملات لبلاد النوبة ، أدت لسقوط تلك الممالك ، مما فتح البلاد أمام التقدم الإسلامي خاصة بعد اشتداد تيار هجرة كثير من القبائل العربية إلى بلاد النوبة ، والتي قامت بمصاهرة قبائل النوبة بل استطاعت تلك القبائل إقامة كيانات[3] سياسية في بلاد النوبة كما سبق القول مما أدى لانتشار الإسلام فيها إلى حد كبير.

رابعاً : انتشار الإسلام في شرق أفريقيا :

تميز انتشار الإسلام في تلك البلاد باتباع أسلوب الهجرات سواء في بلاد الحجاز أو في ساحل عمان والبحرين . وقد استطاع هؤلاء المهاجرون تكوين ممالك وسلطنات إسلامية انتشرت في منطقة الساحل الشرقي لأفريقيا مثل سلطنة مقديشو[4] وسلطنة بات وسلطنة كلوة[5] . ومن خلالها تم للمسلمين السيطرة على الساحل الشرقي لأفريقيا.

---

1 - ابن حوقل : مصدر سبق ذكره ، ص 56.

2 - ابن عبد الحكم : مصدر سبق ذكره ، ص 128.

3 - مثل قيام قبائل ربيعة بتكوين إمارة ربيعة ، انظر الموسوعة الأفريقية ، جـ2 ، ص226.

4 - ابن بطوطة : الرحلة ، 169.

5 - مجهول : السلوة في أخبار كلوة ، ص 28 - 30.

أما بالنسبة لهضبة الحبشة ، فنظراً لصعوبة اجتيازها فقد وقفت حاجزاً أمام الفتوح الإسلامية ، ولكنها شهدت قدوم موجات من المهاجرين من قبائل البجة ، التي كانت قد اعتنقت الإسلام وقد تحدث عن إسلامهم ابن حوقل بالتفصيل[1] وأخذت تنشره عبر الهضبة الحبشية ، كما أن الانقسامات والمشاكل الداخلية في الحبشة مهدت تسرب القبائل العربية للاستقرار على السواحل مما مهد للإسلام الدخول في بلاد الحبشة[2].

وهكذا انتشر الإسلام في العديد من مناطق القارة الأفريقية منذ ظهور الإسلام وطوال العصور التاريخية حتى عصر سلاطين المماليك ، وهو العصر الذي ظهر فيه دور الأزهر بشكل واضح سواء في ميدان الدعوة إلى الإسلام أم في غيره من الميادين. ومن ثم وجب علينا بعد أن استعرضنا المرحلة الأولى لانتشار الإسلام في القارة الأفريقية وهي المرحلة السابقة على ظهور الأزهر يأتي ذكر المرحلة الثانية ، وهي المرحلة التي قام الأزهر فيها بدور كبير في سبيل نشر الإسلام في الأماكن التي لم ينتشر فيها أثناء المرحلة الأولى . ويمكن تحديد الأماكن التي كان للأزهر دور فيها بأنها كانت في منطقة غرب أفريقيا وسط الأقاليم الوثنية وداخل الممالك الإسلامية ، وأيضاً قيامه بنشر الإسلام في بلاد الكانم وبرنو[3] في بلاد السودان الأوسط كذلك قام الأزهر بدور في مناطق السودان الشرقي الذي يشمل الآن ما يسمى بجمهورية السودان ، كما كان له نفس الدور في منطقة القرن – الأفريقي ومنطقة الساحل الشرقي لأفريقيا.

وقد اتبع علماء الأزهر الذين قاموا بنشر الإسلام في هذه المناطق عدة وسائل ، منها سفر هؤلاء العلماء عبر الطرق التجارية المشهورة في القارة ، مع الإقامة بصفة دائمة أو مؤقتة في تلك البلاد ، وكان بعض هؤلاء العلماء يجمعون بين صفة العلم

---

1 – ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 58 ، 59.

2 – حسن إبراهيم حسن : نفس المرجع ، ص 12 .

3 – Palmer : Bornú , Sohara and the Sudan , London , 1936 , p.14.

والاشتغال بالتجارة ، فقد ذكر الذهبي في تاريخه[1] ترجمة لعالم توفي وهو في طريقه لبلاد السودان ، وكان ذاهباً لغرض التجارة . ومن الوسائل أيضاً التي اتبعها العلماء إقامة كتاتيب لتعليم اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي للأفارقة ، وإقامة حلقات وعظ بين المسلمين الأفارقة لكن يُعدوهم للقيام بمهمة نشر الإسلام بين إخوانهم الأفارقة ، والظاهرة اللافتة للنظر في هذه الحلقات أنها كانت تشهد حضور المسلمين والوثنيين معاً[2] .

وقد توافرت عدة عوامل يسَّرت عمل هؤلاء الدعاة ، من هذه العوامل سهولة ويُسْر الدين الإسلامي ، وبعده عن التعقيدات الفلسفية الموجودة في بعض الديانات الأخرى ، كما أن الإسلام كان لا يتعارض في بعض الأحيان ، مع بعض العادات اليومية للأفارقة[3] ، مع تميز الإسلام بسهولة الدخول فيه ، فيكفي للإنسان أن ينطق الشهادتين ، وبذلك يصبح فرداً مسلماً.

أما عن جنسيات العلماء الذين تولوا حمل أمانة نشر الإسلام في القارة الأفريقية ، فلم تكن جنسيات تلك العلماء وقفاً على العلماء المصريين الأزهريين فقط ، بل شاركهم في هذا المجهود وتحمل هذه الأمانة إخوانهم العلماء المغاربة[4] ، وأيضاً العلماء الأفارقة الذين تلقوا علومهم في الأزهر . وقد جمع بين تلك الجنسيات المختلفة رباط الدين ووحدة الثقافة التي تلقوها في الأزهر .

أما بالنسبة للمواطنين الأفارقة فكانوا ينظرون إلى هؤلاء العلماء والمعلمين نظرة تبجيل واحترام بصفتهم طبقة متعلمة تتميز بالقدرة على كتابة الأحجبة والتمائم ،

---

1 -الذهبي : دول الإسلام ، الهيئة العامة للكتاب ، 1974م ، جـ2 ، ص 241.

2 - حسن إبراهيم حسن : نفس المرجع ، ص 27.

3 -المرجع السابق ، ص 15.

4 - أحمد بابا التنبكتي : تطريز الديباج ، ص 264.

وبمعنى أدق كانوا يتبركون بوجود هؤلاء العلماء[1].

ومن النماذج التي يمكن ذكرها للتدليل على جهود هؤلاء العلماء في نشر الدين الإسلامي في القارة، قصة دخول الإسلام لمملكة الكانم وبرنو، حيث قام عالم إسلامي بنشر الإسلام فيهم واسمه محمد بن ماني[2]. وقد أثرت جهود هذا العالم في إسلام الملك الماي بولو الذي كان يحكم حوالي 411هـ/ 1020م وحاشيته وأهل بيته[3].

ومن العلماء أيضاً الذين نشروا الإسلام في منطقة غرب أفريقيا الباقوري[4]. وفي منطقة السودان (وادي النيل) محمود العركي[5]، وولد عشيب[6].

1 – توماس أرنولد: الدعوة للإسلام، ص 392.

2 – محمد بن ماني: هو الجد الأعلى للإمام أحمد بن فرنو مؤرخ دولة الكانم وبرنو، وقد عاش عمراً كبيراً حتى بلغ 120 عاماً، وعاصر كثيراً من ملوك دولة كانم، وتوفي في عهد الملك آدم بن عبد الجليل، الذي تولى الحكم في سنة 479هـ/ 1086م. انظر إبراهيم طرخان: امبراطورية البرنو، ص 67.

3 – Palmer: op. cit, p.14.

4 – الباقوري: صالح بن محمد بن أحمد، ويسمى الباقوري نسبة لقرية باقورة وهي بلدة مصرية، واشتهر بمهارته في علوم الفقه والأصول، توفي عام 843هـ/ 1439م. انظر السخاوي: الضوء اللامع، جـ3، ص 315.

5 – محمود العركي: رجل قصير، ولد بالنيل الأبيض، حضر لمصر وتلقى العلم بالأزهر، سكن في جزيرة الهدى بالسودان وبنى قصراً يعرف بقصر محمود. انظر ود ضيف الله: الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء، ص 163.

6 – ولد عشيب: علي ولد عشيب، ولد في مدينة دنقلة، وتلقى العلم بالأزهر، عمل بالقضاء، دفن في العيدى وهي مدينة على شاطئ النيل الأزرق، انظر ود ضيف الله: المصدر السابق، ص 114، 115.

3- تصحيح المفاهيم الدينية وإرساء قواعد الدين السليمة

شهدت المناطق الإسلامية في القارة الأفريقية العديد من الأفكار التي كانت تخالف صحيح الدين الإسلامي . وقد تباينت تلك الأفكار ما بين أفكار تتعلق بالعادات الأفريقية التي كانت منتشرة قبل الإسلام وتتعارض مع صحيح الدين ، وما بين أفكار تدل على عدم فهم الدين فهماً صحيحاً ، وكان لعلماء الأزهر مواقف من هذه الأفكار حيث عملوا على إزالتها أو تهذيبها لتتماشى مع صحيح الدين ، وفيما يلي استعراض لتلك الأفكار.

في مناطق الغرب الأفريقي وُجدت أفكار تتعارض مع بعض التقاليد الإسلامية ، مثل توريث الملك والحكم لابن الأخت دون الابن الصلب . وكانت حجة الأفارقة في ذلك أن ابن الأخت يدل على صحة نسبه دون الابن الصلب حيث إن أمه على أية حال تكون معروفة[1] ، كما أن الرجل قد يشك في ابنه ، بينما لا تستطيع المرأة الشك في ابنها .

كما عرفت القارة عادات تدل على مدى الجهل بأمور الفقه وخصوصاً في مملكة الفونج ، حيث كانت المرأة تتزوج دون إتمام فترة العدة ، ويكفي للرجل أن يطلق امرأته حتى تصبح في اليوم التالي وقد تزوجت من غيره[2] .

كما كان للأفارقة عادات يخلطون فيها تقاليدهم بالمفاهيم الإسلامية ومن أمثلة ذلك العادة التي كانوا يتبعونها وهي عادة الخروج للصحراء وإيقاد النيران ، ويذبحون لها البقر ، ويأمرون صبيانهم بالتجمع عند النار ، مع ضربهم في حالة الامتناع بالعصي ثم يطوفون بالنار هم وأولادهم ، ويقولون نحن وداعة الله ، ثم وداعتك أيتها النار ، وأنت أبونا وأمنا ، ثم يقومون بالرقص حول النار وقد انتشرت تلك العادة عند قبائل

1 - ابن بطوطة : الرحلة ، ص 443.

2 - ود ضيف الله : الطبقات ، ص 5.

الفلاتا[1] . وواضح تماماً مدى اختلاط المفاهيم الوثنية بالمفاهيم الدينية ، وأيضاً يتضح مدى الحرص الشديد على تلك العادة المزرية .

ومن العادات التي اشتهرت أيضاً وكان لها مفهوم وثني عادة التبرك بالدماء ، وكانت تلك العادة مشتهرة في بلاد البرنو بل كان السلاطين يشاركون في هذه العادة وكانوا يقومون بالخروج لأماكن معينة ، وهناك يقومون بذبح الحيوانات ، ثم تسكب دماؤها وترش أمام الأبواب والبيوت حيث إنهم كانوا يعتقدون أنها تجلب لهم البركة ، كما كانوا يعتقدون أنها تساعدهم على قضاء حوائجهم[2] .

ولم تقتصر تلك الأفكار الغريبة عن الإسلام على هذه العادات والتقاليد فقط بل تعدَّتها إلى سوء فهم لقواعد الدين ، مع الميل للتمسك بحرفية النصوص ، مثل قيام جماعة من الأفارقة لم يكن يشغلهم شاغل سوى تكفير الناس ، وعمدتهم في ذلك بعض النصوص الدينية التي لم يستوعبوها وكانوا يلقون بأحكامهم على جمهور القاعة من المسلمين ، وغالباً ما كان يعجز الناس عن الرد عليها[3] ، وقد وصل بهم الأمر إلى تحريم أكل ذبائح العوام ، مع تحريم مصاهرتهم[4] . ويبدو من استعراض تلك الأفكار أنها كانت البذور الأولى لما عُرف بالتطرف في أمور الدين.

ولم يتوقف الأمر عند التطرف في الدين ، بل وجدت جماعات تتكسب من الدين وتتخذه وسيلة لكسب العيش ، وهم جماعات من الصوفية لا تتعدى معرفتهم بالتصوف قراءة بعض الكتب الصوفية ثم ادعاء الزهد والكشف ، واتخاذ ذلك وسيلة للارتزاق مع أنهم كانوا لا يؤدون الفروض الدينية[5] .

---

1 - محمد بن بلو : إتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، إدارة الوثائق والمكتبات بوزارة الأوقاف ، القاهرة ، مصر ، 1964م ، ص50.

2 - محمد بلو : إتفاق الميسور ، ص 34.

3 - المصدر السابق ، ص 68.

4 - نفسه ، ص 68.

5 - المصدر ذاته ، ص 69.

وكان إجلال الأفارقة للعلماء ، يستغل أحياناً من بعض أبناء العلماء ، هؤلاء الأبناء الذين كانوا يجبرون الأفارقة على احترامهم ، بل وصل بهم الأمر إلى الطلب من الأفارقة الاقتداء بهم وما يتبع ذلك من وضعهم في مكانة غير جديرين بها[1] ، لأنهم في أغلب الأحيان لم ينالوا أي نصيب من التعليم .

كما كان من عادة بعض الأفارقة التكاسل عن أداء الفروض الدينية مثل فريضة الصلاة والصوم ، ولا تتجاوز الحقيقة إذا قلنا إن تلك العادات المذمومة كانت منتشرة بين كثير من مسلمي غرب أفريقيا[2] .

أما في الشمال الأفريقي فكانت تلك البلاد في السابق مسرحاً لظهور العديد من الأفكار التي انتشرت في العالم الإسلامي مثل أفكار الشيعة والخوارج[3] وإن كانت تلك الأفكار لا يصح القول بأنها في مجملها خارجة على الدين ، لكن يمكن القول أن في بعضها مفاهيم مختلفة عما تعارف عليه المسلمون في العصور الأولى للإسلام ، وقد كانت تلك الأفكار قد اندثر معظمها قبل ظهور دور الأزهر ، لكن تبقّى منها بعض الأفكار وإن كان أبرزها فكرة التعصب المذهبي للمذهب المالكي الذي وصل التعصب المذهبي له إلى حد اعتباره المذهب الأوحد وما عداه لا يجوز الأخذ منه . وكان من نتائج هذا التعصب لمذهب الإمام قيام الحروب والصراعات بين أتباع المذاهب الأخرى إن وُجدت[4] .

أما منطقة شرق أفريقيا فنظراً لطبيعة المنطقة من حيث كونها منطقة ساحلية في أغلبها ، مما كان له الأثر في الاحتكاك بخبراتها ، مع حداثة دخول الإسلام في معظمها ، فلم تجد هذه الأفكار الخارجة عن صحيح الدين مرتعاً لها في هذه المنطقة ، باستثناء مشكلات

---

1 - عمد بل : إتفاق الميسور ، ص 68.

2 - المصدر السابق ، ص58 : 59.

3 - ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 90.

4 - المصدر السابق ، ص 90.

كانت تتعلق بعدم وجود مدارس لتعليم الدين[1] إلا بعد فترة المد الأزهري ، حيث استطاع علماء الأزهر الشريف نشر الدين والتعليم الديني في تلك البلاد .

أما عن موقف علماء الأزهر تجاه تلك الأفكار فإنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدى. بل قاوموا هذه الأفكار بشدة متبعين في ذلك العديد من الوسائل وقد تنوعت تلك الأساليب واختلفت طرائقها.

ومن الأساليب والوسائل التي اتبعها علماء الأزهر إنشاء المدارس والخلوات والربط التي كانوا يقيمونها ويعقدون فيها حلقاتهم العلمية لتعليم الأفارقة أصول الدين الصحيحة ، وللتدليل على ذلك قيام العالم الأزهري «محمد راجل القصير العركي»[2] بإنشاء مدرسة وقصر عرف باسم قصر محمود في منطقة النيل الأبيض ، لتعليم أبناء السودان أمور الدين الصحيح ، وقد بلغ هذا العالم في جهوده مبلغاً كبيراً في تصحيح كثير من المفاهيم الخطأ ، ويكفي أنه استطاع القضاء على عادة زواج المرأة دون انتظار شهور العدة التي كانت مشهورة في مملكة الفونج في ذلك الوقت ، كما نشر الفقيه إبراهيم[3] من دار الشايقية الإسلام ، وصحح مفاهيم كانت سائدة في تلك البلاد عن طريق إنشاء مدرسة للفقه من كتب الفقه المشهورة مثل مختصر خليل[4] والرسالة.

أما بالنسبة لمنطقة الغرب الأفريقي ، فقد قوّم العلماء ذوو الأصول العربية تلك الأفكار الضالة[5] التي سبق أن سردناها ، مستخدمين أسلوب الوعظ ، بل دخلوا في

---

1 - القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ5 ، ص 324.

2 - ود ضيف الله : مصدر سبق ذكره ، ص 5.

3 - الفقيه إبراهيم : ابن حاجي بن عوف ، ولد في جزيرة رباط بالشافعية ، تعلم على يد محمد النبوفري ، واشتهر في علم الفقه والأصول. ويعتبر من عائلة معظمها من العلماء . انظر : المصدر السابق ، ص 6.

4 - مختصر خليل : في فروع المالكية للشيخ خليل بن إسحاق الجندي المالكي ، توفي في عام 767هـ/ 1365م وله عدة شروح أشهرها شرح كمال الدين المعروف بابن الناشح ، انظر حاجي خليفة : نفس المصدر ، جـ2 ، ص 518.

5 - محمد بن بلو : إنفاق الميسور ، ص 34.

مجادلات مع العلماء الأفارقة الذين كانوا بها يدينون بتلك العادات ، بل وصل الأمر بالعلماء العرب إلى حد تكفير هؤلاء الأفارقة[1] .وقد كان العلماء أيضاً يساعدون الحكام الأفارقة المتمسكين بالدين مثل أسكيا محمد الأول الذي قام بجهود كبيرة بمساعدة العلماء في تغيير العادات الخارجة عن الإسلام ، كما كان تشجيع من العلماء قد قام بتغيير وتنظيم عملية المواريث طبقاً للشريعة الإسلامية[2] .كما كان هذا السلطان يقوم بمراسلة علماء مصر مثل السيوطي[3] .

ولتقييم جهود العلماء في سبيل مقاومة هذه الأفكار ، يجدر بالذكر أن العلماء قد جانبهم التوفيق أحياناً في القضاء على تلك العادات ، وأبرز مثال لذلك جهود العلماء في مملكة الفونج ، كما نجح العلماء في تخليص الأفارقة من بعض العادات الوثنية وإرجاعهم لأصول الدين الصحيحة ، وقد كان العلماء أحياناً يصيبهم الإخفاق في مقاومة هذه الأفكار والعادات المرتبطة بالتقاليد الأفريقية حيث كانت تجد سنداً من بعض الحكام[4] ولكن على العموم نجح العلماء في إقناع بعض الحكام الصالحين بتصحيح[5] المفاهيم الدينية مثلما نجحوا في إقناع حكام الفونج في منع زواج المرأة قبل أن تنقضي عدتها[6] .

1 – محمد بن بلو : مصدر سبق ذكره ، ص34.
2 – محمود كعت : الفتاش ، ص12.
3 – المصدر السابق : ص12.
4 – السعدي : نفس المصدر ، ص64.
5 – محمود كعت : المصدر السابق ، ص12.
6 – ود ضيف الله : الطبقات ، ص 6.

4 - إرسال الكتب الدينية والمصاحف الشريفة لبلدان القارة

لم يتوقف دور الأزهر على مجرد نشر الإسلام في ربوع القارة وعلى تصحيح المفاهيم الدينية والقضاء على العادات الوثنية ، بل تزامن هذا العمل مع عمل لا يقل أهمية وهو إرسال المصاحف والكتب الدينية إلى المسلمين في أنحاء القارة المختلفة ، وكانت المصاحف الشريفة والكتب الدينية التي يرسلها الأزهر تجد قبولاً كبيراً لدى طلاب العلم والعلماء الأفارقة . وقد تنوعت وسائل إرسال هذه الكتب ، فمنها ما كان يتم إرساله بالشراء في أثناء رحلات الحج ، حيث كانت مصر محطة تتوقف فيها قوافل الحج في الذهاب والعودة . مثال ذلك قيام الملك منسا موسى[1] ، بشراء العديد من الكتب أثناء رحلته إلى الحج وعند مروره بمصر في عام 725هـ/ 1324م. كما كان العلماء يقومون باصطحاب كتبهم أثناء ذهابهم لبلاد القارة المختلفة[2] .

وكانت المصاحف الشريفة والكتب بعد وصولها لبلدان القارة ، يتم نسخ العديد منها ، ثم يتم شراؤها أو تعطى على سبيل الإهداء للمكتبات الملحقة بالمساجد ، أو الإهداء الشخصي بين الأصدقاء ، أو قيام مجموعة من الأثرياء بشرائها وتخصيصها كوقف لطلاب العلم[3] .

وقد تأثر الأفارقة بهذه الكتب تأثراً كبيراً ، يتضح ذلك التأثير من خلال الكتابات التي كتبوها ، ويتضح من خلال الأسلوب المستخدم في الكتابة ، حيث نرى أن تقسيم الكتاب في بلدان القارة ، هو نفس التقسيم المتبع في الكتب المرسلة ، بل وصل الأمر إلى استخدام السجع في العناوين كما كان شائعاً في تلك الفترة[4] .

أما بالنسبة للمصاحف فقد كانت تخصص كمنح أو هبات لخزانات المساجد الكبرى ،

---

1 - المقريزي : الذهب المسبوك ، ص113.

2 - أحمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص115.

3 - السعدي : تاريخ السودان ، ص58.

4 - انظر مثلاً عنوان كتاب أحمد بابا (نيل الابتهاج بتطريز الديباج) وغيره من الكتب.

وذلك ليتم القراءة منها أو تعليم الصبية حفظ القرآن الكريم . وقد تنوعت المصاحف بين مصاحف كاملة أو أرباع وأجزاء لكي تسهل عملية الحفظ . وكانت عملية إهداء المصاحف تتم إما من الحكام أو من الموسرين[1] .

وقد ترتب على إرسال الكتب إلى أنحاء القارة ، قيام سوق رائجة لعملية نسخ الكتب وعملية بيعها . وقد اشتهرت مدينة تمبكت بهذا العمل واعتبرته حرفة رئيسية لكثير من السكان ، ولذلك أصبحت بمثابة معرض دائم للكتاب ، يجد رواجاً من قِبَل طلاب العلم والعلماء الأفارقة[2] .

كما ترتب على عملية إرسال الكتب الأزهرية أيضاً ظهور المكتبات في جميع الممالك والبلدان الإسلامية في القاهرة . وقد انقسمت تلك المكتبات إلى مكتبات عامة كانت تُلحق بالمساجد أو المدارس[3] ، ومكتبات خاصة كان يتملكها الأفراد . وقد تميزت تلك المكتبات بوفرة الكتب واختلاف نوعياتها ، وكانت تقوم بعملية التيسير على الطلبة في الاطلاع والاستعارة ، ويكفي للتدليل على ذلك ما ذكره السعدي في كتابه من قيام أحد العلماء الأفارقة وهو العالم «محمد الونكري» وكان يمتلك مكتبة ضخمة بإعارة الطلاب الكتب دون استردادها[4] .

أما عن أشهر الكتب التي كانت مشهورة في القارة وتجد قبولاً لدى الأفارقة ، فيمكن تقسيمها حسب موضوعاتها إلى كتب تتناول الموضوعات الفقهية ، وكتب الحديث النبوي وعلوم اللغة ، وعلم الأصول والمنطق ومن أشهر تلك الكتب :

كتب الفقه : في البلاد التي ساد فيها المذهب المالكي وُجِد كتاب الموطأ[5] للإمام مالك ابن أنس، ويعتبر هذا الكتاب من كتب الحديث لكنه اشتمل على كثير من فقه المذهب

---

1 – السعدي : تاريخ السودان ، ص58.

2 – الحسن بن الوزان : وصف أفريقيا ، الرياض ، السعودية ، 1979 ، ص 541.

3 – السعدي : المصدر السابق ، ص58.

4 – السعدي: نفسه ، ص43 – 44.

5 – حاجي خليفة : كشف الظنون ، جـ2 ، ص724.

المالكي، ولذلك يُصنَّف ضمن كتب الفقه المشهورة، ويعتبر أول كتاب صُنِّف في الفقه على مستوى المذاهب الفقهية. كما اشتهر أيضاً بالنسبة للمالكية كتاب (مختصر خليل)[1] وهو كتاب يتناول فروع الفقه المالكي.

وبالنسبة للممالك التي ساد فيها المذهب الحنفي فقد انتشر كتاب «كنز الرقائق»[2] في فروع الفقه الحنفي، ويتميز هذا الكتاب بكثرة شراحه، ومن أشهر شارحي هذا الكتاب العالم الأزهري الإمام «فخر الدين أبو محمد عثمان[3] بن علي الزيلعي» في كتاب: تبيان الحقائق لما في الكنز من الرقائق.

أما بالنسبة لعلوم **أصول الفقه** فقد اشتهر في القارة كتاب المختصر الكبير[4]. وهو كتاب مختصر من أصل له يسمى كتاب الأحكام[5] للآمدي، وقد انتشر هذا الكتاب في بلاد المغرب ومنها إلى بلاد غرب أفريقيا.

أما بالنسبة للكتب التي تناولت **الأحاديث النبوية**، فأشهرها في القارة كتاب صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، وتميَّز بأنه يحتوي على ما يقرب من 9200 حديث مختلفة في السند ومنها ما هو متكرر وقد بلغت الأحاديث المتكررة حوالي ثلاثة آلاف حديث. كما اشتهر أيضاً من كتب الأحاديث صحيح مسلم للإمام مسلم بن

---

1 - انظر حاشية رقم (3) ص 89.

2 - كنز الرقائق: من فروع الحنفية، للشيخ الإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد المعروف بحافظ الدين المتوفى عام 710هـ/1310م - وأشهر شراح الكتاب فخر الدين أبو محمد عثمان الزيلعي وسماه تبيان الحقائق وقد توفي الزيلعي عام 743هـ/1342م. ومن شراح الكتاب أيضاً العيني المتوفى عام 684هـ/1285م. انظر حاجي خليفة: كشف الظنون، جـ2، ص834.

3 - فخر الدين الزيلعي: عثمان بن علي بن يحيى، كان من علماء المذهب الحنفي، قدم للقاهرة عام 705هـ/1305م، تولى عدة مناصب واشتغل بالتدريس والإفتاء، توفي عام 743هـ/1439م. انظر ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1961م، جـ3، ص61.

4 - ابن خلدون: المقدمة، ص508.

5 - الأحكام: سمي إحكام الأحكام في أصول الأحكام للشيخ أبي الحسن علي بن أبي علي الآمدي، توفي عام 631هـ/1233م مرتب على أربع قواعد وهي مفهوم أصول الفقه وأحكام المجتهدين في الترجيح. انظر حاجي خليفة: المصدر السابق، جـ1، ص78، 79.

الحجاج القشيري ويتميز كتاب صحيح مسلم بحذف الأحاديث المتكررة[1].

ومن **كتب اللغة** التي أرسلت للقارة ووجدت لها شهرة كتاب (ألفية ابن مالك) في النحو[2]، وتتكون الألفية من ألف بيت في النحو.

كما اشتهر أيضاً كتاب (تلخيص المفتاح)[3] في **البلاغة** للإمام جلال الدين القزويني، وعلى الرغم من أن هذا العالم غير أزهري، لكن كتابه كان يُدرس في الأزهر، وانتشر في أفريقيا والسبب هو صغر حجمه وملاءمته للعقلية الإسلامية في بلاد أفريقيا[4].

وبوصول هذه الكتب لمناطق القارة الأفريقية سواء شرقها وغربها، يكون قد تم وضع الأسس العلمية ليقوم دور آخر للأزهر في القارة وهو تأهيل علماء الدين والقضاة.

1 - ابن خلدون : المقدمة، ص493.

2 - ألفية ابن مالك : سميت بهذا الاسم لأنها تتكون من ألف بيت من الشعر، واسمها الحقيقي الخلاصة وتبدأ بقول ابن مالك، قال محمد هو ابن مالك أحمد ربي الله خير مالك ومؤلفها هو ابن مالك جمال الدين أبو عبدالله محمد، عالم من علماء اللغة والنحو، له كتاب الألفية، توفي عام 672هـ/ 1273م. انظر حاجي خليفة: نفسه، جـ1، ص172.

3 - تلخيص المفتاح : هو كتاب في المعاني والبيان تأليف جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني الشافعي، المتوفى عام 739هـ/ 1338م ويحتوى الكتاب على مقدمة وثلاثة فنون الأول علم المعاني، والثاني علم البيان، والثالث علم البديع. انظر حاجي خليفة : المصدر السابق، جـ1، ص 384.

4 - ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون، ص646.

5 - تأهيل القضاة وعلماء الدين الأفارقة

كان تأهيل علماء الدين والقضاة الأفارقة ، يخضع لبرامج وخطط وفقاً للمرحلة العمرية للمتعلمين ، فوجدت برامج خاصة لتعليم الطلاب في المراحل الأولية للعمر ، كما وُجدت برامج لتأهيل الطلاب في المراحل العمرية المتقدمة ، فبالنسبة للطلاب في المرحلة الأولية ، كانوا يتلقون علومهم في الكتاتيب التي كانت ملحقة بالمساجد أو الملحقة ببيوت العلماء[1] .

أما عن تعليم الكبار فكان يتم في المساجد والمدارس المنشأة والمعدَّة لتعليم الكبار ، حيث كانوا يحضرون الحلقات العلمية التي كانت تتم في ذلك الوقت . كما كان هؤلاء الطلبة يتلقون علوماً تتطابق إلى حد كبير مع العلوم السائدة في الأزهر في ذلك الوقت[2] .

وكانت برامج هذه الدراسة تؤهل صاحبها للعمل في مجال الخطابة والتدريس ، ومن يرغب في الاستزادة من العلم كان عليه التوجه إلى المراكز العلمية المنتشرة في بلدان العالم الإسلامي وعلى رأسها الأزهر[3] .

أما عن البرامج التي كانت مخصصة لتأهيل القضاة ، فكان يُراعى فيها إعداد الطلاب النابهين وتنمية ملكاتهم الفكرية ، مع تدريبهم على القدرة على استنباط الأحكام الفقهية. ولذا كان يقوم هؤلاء الطلاب بدراسة علم أصول الفقه وعلم الفرائض[4] ، مع دراسة مذهب مالك بالنسبة لبلدان الشمال الأفريقي والغرب الأفريقي ، ومذهب الإمام الشافعي والإمام أبي حنيفة بالنسبة لبلدان الشرق الأفريقي ، حيث انتشرت تلك المذاهب هناك[5] وبعد انتهاء تلك الدراسة كانت تُجرى للطلبة اختبارات ، وبعد النجاح

---

1 - توماس أرنولد : الدعوة للإسلام ، ص 298.

2 - السعدي : تاريخ السودان ، ص 14.

3 - كان يأتي هؤلاء الطلاب مصاحبين للقوافل . انظر ابن بطوطة ، الرحلة ، ص 441.

4 - السعدي : المصدر السابق ، ص 33 ، 34.

5 - القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 324.

فيها يتم تزكيتهم من مدرسيهم ، مع إعطائهم إجازة القضاء التي كانت تتيح لهم العمل في المجال القضائي في بلادهم[1] .

وكان من نتائج هذه السياسة التي اتبعها الأزهر لتعليم هؤلاء الأفارقة ، ظهور طائفة من العلماء والقضاة في تلك الممالك تميزوا بباع كبير في العلوم الدينية ، جعلهم يقفون في موقف لا يقل موقفاً عن العلماء العرب ، بل يقفون على قدم المساواة في الناحية العلمية مع هؤلاء العلماء . ويكفي للتدليل على ذلك ما رواه السعدي ، أن الملك منسا موسى بعد عودته من رحلة الحج ، اصطحب معه عالماً من بلاد الحجاز مكث فترة طويلة في غرب أفريقيا ، ولما جلس للمناظرة مع علماء هناك وجدهم يتفوقون عليه ، فلم يكن بوسعه سوى مغادرة تلك البلاد للاستزادة في العلم[2] .

تلك هي ثمرة الجهود التي بذلها الأزهر في بلدان القارة الأفريقية ولم تتوقف تلك الجهود على البناء العلمي فقط ، بل كان مقدمة إلى إسهام مادي تمثل في إقامة المنشآت الدينية في القارة .

1 - ذكر القلقشندي عن نماذج كثيرة من هذه الإجازات . انظر القلقشندي : المصدر السابق ، جـ14 ، ص322.

2 - السعدي : تاريخ السودان ، ص51.

6 - المساهمة في إنشاء العمائر الدينية

كان انتشار العمائر الدينية في بلدان القارة الأفريقية يسير في خط متواز مع انتشار الإسلام في القارة . وقد كان لعلماء الأزهر إسهامات كبيرة في إنشاء تلك العمائر ، وكان الإسهام الأزهري يتم بطريقين أولهما بناء المساجد أو الإشراف على بنائها ، والطريق الثاني هو تعمير تلك المنشآت بحلقات العلم التي كانوا ينشئونها . وقد تميزت هذه المنشآت بتنوعها وانتشارها في معظم أنحاء القارة .

أنواع المنشآت الدينية :

تنوعت المنشآت الدينية في القارة ما بين مساجد ورُبط وزوايا وخلاوي . وقد اختلفت تلك المنشآت في أنحاء القارة ، فيما انتشرت الربط والزوايا في الشمال والغرب الأفريقي ، انتشرت الخلاوي في سودان وادي النيل ، وفيما يلي استعراض لكل نوع من أنواع هذه المنشآت .

أولاً : المساجد :

انتشرت المساجد في أنحاء القارة وشهدت تنوعاً سواء في بنائها أو في تبعيتها ، ولذلك من السهل تقسيمها إلى مساجد عامة ومساجد خاصة . فالمساجد العامة كان يتولى عملية إنشائها الحكام ، أو تخضع لإشرافهم المالي والإداري[1] ، وكان دور العلماء الأزهريين في إنشائها لايتعدى المشورة والنصح للحكام في تخطيطها وتعيين قبلتها وكانت تتميز بكبر مساحتها وفخامة بنائها وكان معظمها مبنياً من الحجر كما كان لها تصميم خاص يتبع في بنائها[2] .

أما بالنسبة للمساجد الخاصة ، فكانت تُبنى بواسطة العلماء وجهود أهل البلد ،

---

1 - الماوردي : الأحكام السلطانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون ، ص 237.

2 - السعدي : تاريخ السودان ، ص31.

وكانت تتميز ببساطة البناء مع صغر المساحة ، ولكنها تميزت بانتشارها على مستوى القارة ، وكان هذا النمط في البناء منتشراً في أنحاء القارة ، حيث يتميز أيضاً بقلة تكاليفه حتى قيل أن كل أسرة أو مجموعة صغيرة من الدور كان لها مسجدها الخاص بها[1] .

ومن أشهر المساجد التي انتشرت في أفريقيا الشمالية ، المسجد الجامع بمدينة فاس ، وقد تم بناؤه في عهد السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق ، في عام 677هـ/ 1278م[2] . وقد تميز هذا المسجد بسعة الإنفاق عليه لدرجة أنه علقت به ثريا يبلغ وزنها حوالي تسعة قناطير وخمسة عشر رطلاً[3].

أما عن أشهر المساجد التي اشتهرت في منطقة الغرب الأفريقي، فيأتي جامع سنكرى على رأسها. وغير معروف على وجه التحديد تاريخ بناء هذا المسجد ، وقد قامت إحدى السيدات الثريات بإنشائه[4] . وقد تم إضافة عدة تعديلات على هذا المسجد بداية من عام 726هـ/ 1325م وتم بناؤه بالحجر . وتأتي أهمية هذا المسجد من وجود حلقات علمية كانت تعقد في جنباته ، بالإضافة لاحتوائه على مكتبة ، كما كانت له تقاليد خاصة ، حيث يتم فيه قراءة كتاب الشفاء للقاضي عياض[5] في شهر رمضان من كل عام[6] . وكانت جهود العلماء الأزهريين في هذه المساجد تتلخص في قيامهم بالإشراف على البناء وإعادة التجديد . واشترك في هذا العمل كل من العلماء الوافدين والمحليين على وجه سواء .

1- وديف الله : الطبقات ، ص6.

2 - محمد عادل عبد العزيز : التربية الإسلامية في المغرب ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987م ، ص 49.

3 - المرجع السابق ، ص50.

4 - السعدي : تاريخ السودان ، ص62.

5 - الشفاء في حقوق المصطفى للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى القاضي المتوفى عام 544هـ/ 149 م وهو أربعة أبواب الأول في ثناء الله سبحانه وتعالى والثاني في تكملة الله تعالى له المحاسن خلقاً والثالث فيما ورد من صحيح الأخبار ، وقد اختصره الشيخ محمد بن أحمد الأسنوي المتوفى عام 763هـ/ 1361م وشرحه الشيخ أبو عبدالله محمد بن الحسن . انظر حاجي خليفة : كشف الظنون ، جـ2 ، ص 81 ، 82.

6 - السعدي : المصدر السابق ، ص 31.

وقد شهدت منطقة القرن الأفريقي العديد من المساجد وتميزت بضخامة بنائها ، ومنها مساجد جامعة كانت تقام فيها صلاة الجمعة والجماعات ولكن للأسف تهدَّم معظم هذه المساجد نتيجة للصراع الذي كان قائماً بين بلاد الزيلع والحبشة[1].

ونفس الشيء حدث أيضاً في بلاد السودان حيث قام العلماء بالإشراف على بناء المساجد بل كانوا يقومون بإنشائها بأنفسهم واتخذوها مقاراً لنشر الإسلام والدعوة الإسلامية في بلاد السودان .

ثانياً : الرُّبط :

الربط جمع ومفردها رباط ومعناها في اللغة مرابط الخيول[2] ثم تحولت الكلمة إلى المكان الذي يعد لملاقاة العدو ، ثم تطورت الربط وأصبحت أماكن للعبادة وإقامة للصوفية ، حيث يتولون فيها جهاد النفس وترويضها متخذين من ذلك قول الله سبحانه وتعالى : ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾[3] بمعنى جاهدوا النفس وروضوها على الأعمال الحسنة[4].

وأكثر الأماكن في القارة التي شهدت ظهور الرُّبط هي مناطق الشمال الأفريقي لحساسية موقعها وكثرة تعرُّضها للعدوان من قبل الغزاة الأسبان وغارات القراصنة . وأيضاً بسبب طبيعة المنطقة الساحلية وارتباط الرُّبط بالثغور الحربية[5]. بالإضافة أيضاً لقرب بلاد شمال أفريقيا مكانياً من أوربا . ولذا وجدت معظم الأربطة في مناطق ساحلية .

ومن أشهر الربط التي انتشرت في منطقة الشمال الأفريقي رباط سلا[6] ، وكان

---

1 - القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ5 ، ص 324.

2 - الرازي : مختار الصحاح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1986م ، ص 229.

3 - سورة آل عمران آية رقم 200.

4 - المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 422، 423.

5 - البكري : نفس المصدر، ص 91.

6 - ابن حوقل : نفس المصدر ، ص 82.

الغرض من إنشائه تسهيل عملية غزو قبائل برغواطة التي قامت بإنشاء دولة لها في إقليم تامسنا . كما وجد أيضاً رباط في نكور ورباط سيدي شكير في المغرب الأقصى منذ أيام عقبة بن نافع الفهري نسبة إلى أحد رجاله ويدعى شاكر[1].

وأيضاً شهدت منطقة غرب القارة ظهور الأربطة ويعتبر أول رباط أقيم في المنطقة رباط عبد الله بن يس[2] الذي قام بإنشائه هذا العالم في جزيرة تقع عند مصب نهر السنغال ، وبدأ يجذب الأتباع إليه حيث أعدهم لحياة الجهاد والتصوف . ثم انتشرت الرُّبط بعد ذلك نظراً لتأثر الغرب الأفريقي بالمؤثرات المغربية ، ونظراً لطبيعة المنطقة ، حيث وجدت فيها جماعات وثنية كان يتطلب الأمر مقاتلتهم[3] .

ونظراً لطبيعة الرُّبط العسكرية منذ البداية فقد كان لها تصميم خاص من حيث المباني ، وكان هذا التصميم يعتمد على إقامة سور كبير حول الرباط ، بالإضافة لحجرات كانت مخصصة لسكن الأفراد وحجرات لتخزين المؤن بالإضافة لوجود مخازن للأسلحة وبرج للإشارة[4] .

وكان من شروط الانضمام للربط ، أن يلتزم المقيم بقطع المعاملة مع الخلق ، بمعنى أن يتفرغ كلياً للعبادة ، مع ترك العمل الذي يتكسب منه بالإضافة لمنع النفس من مخالفة الأمور الشرعية وشغل النفس بالصلاة ، وقراءة الأوراد[5] . ويظهر من خلال هذه الشروط أنها دعوة للزهد وتلك الدنيا ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، إذ أن هذه الشروط كانت ملزمة فقط أثناء الإقامة في الرباط ، وإلا بم نفسر قيام هؤلاء المرابطين بنشر الإسلام وحمل العلم في كل مكان حل فيه هؤلاء المرابطون ؟.

---

1 – حسين عبدالله مراد : المتصوفة في بلاد المغرب الأقصى ، المطبعة الإسلامية ، القاهرة ، 1994م ، ص 38.

2 – عبد الله بن يس من قبيلة جزولة ، فقيه وعالم ديني ، تتلمذ على يده الكثير من رؤساء القبائل ، ويعتبر الزعيم الروحي لدولة المرابطين . انظر عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ص 133 ، 134.

3 – عبد العزيز سالم، مرجع سبق ذكره ، ص 133 ، 134.

4 – حسين عبدالله مراد : مرجع سبق ذكره ، ص 35.

5 – المقريزي : الخطط ، جـ3 ، ص 423.

وكانت الإقامة في الرُّبط تختلف ما بين إقامة دائمة أو إقامة مؤقتة خلال فترة الاعتكاف في شهر رمضان[1] ، أو النزول فيها أثناء السفر ولذا تنوع نزلاء هذه الربط ما بين تجار ومعلمين وعلماء ، ورجال طرق صوفية وإن كانوا هم الأكثر حيث ارتبطت بهم الإقامة في هذه الربط .

أما عن دور الرُّبط في نشر العلم والدين الإسلامي ، فقد قامت بدور كبير في هذا المجال ، إذ شهدت هذه الأربطة قيام حلقات علمية ، وإقامة حلقات الذكر والإنشاد الديني[2] ، وشهدت أيضاً حلقات وعظية في الدين ونظراً لقبولها لجميع المترددين عليها أصبحت أماكن لجذب الأفارقة وبالتالي انتشار الإسلام في القارة.

ثالثاً : الزوايا :

الزاوية في اللغة معناها ، الجمع والقبض[3] ، ثم تحول هذا الاسم إلى المنشآت التي كانت تُقام بجوار المساجد ، وكانت تخصص للتعبد والاعتكاف ، ثم انفصلت الزوايا وأصبحت عبارة عن مبانٍ مستقلة . وتعتبر الزاوية بمثابة الابنة الشرعية للرباط ، من حيث إنها تتشابه معه إلى حد كبير ، من حيث الغرض من قيامها ، وأيضاً نوعية النزلاء بها ، وإن اختلفت في الحجم والمساحة[4] ، وإن كان الرباط يتميز بطابع العسكرية الجهادي . بخلاف الزوايا .

وكانت الزوايا تنقسم لعدة أنواع ، فكانت هناك زوايا ملحقة بالمساجد ، وزوايا صوفية[5] ينزل بها أصحاب الطرق الصوفية وزوايا بسيطة وهي الزوايا المكوّنة من أبنية مستقلة تشمل أماكن للمقيمين بها ، وأيضاً تحتوي على مكتبة وحجرات خاصة بالدراسة[6] .

---

1 – حسين عبد الله مراد : مرجع سبق ذكره ، ص40.

2 – حسين عبد الله مراد: المرجع السابق ،ص 40.

3 –الرازي : مختار الصحاح ، ص 279.

4 – محمد عادل عبد العزيز ، مرجع سبق ذكره ، ص 40.

5 –المرجع السابق ، ص 40.

6 –المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وقد أسهمت الزوايا في نشر الدين الإسلامي في أنحاء القارة حيث كانت تشتهر بوجود علماء بها يقومون بالتدريس فيها[1] وكانت تجتذب الكثير من أبناء القارة لوفرة مواردها المالية ، حيث كانت تخصص لها الأوقاف والهبات للصرف عليها[2] .

المقارنة بين الرِّبط والزوايا :

جمعت الزوايا عدة خصائص جعلتها أشبه بالربط وهذه الخصائص تبلورت في كون الزوايا مكاناً يخصص للاعتكاف والإقامة بعيداً عن مشاكل الحياة ، وكذلك الرباط كان يخصص للجماعة التي تريد الابتعاد عن المغريات .. كما أن الزوايا اتُّخذت كمكان للتعليم ، كذلك الرباط استُخدم للهدف ذاته ، ولكن أوجه الاختلاف بينهما هو أن الزاوية تميزت بمحدودية الغرض وهو الغرض التعليمي بينما الرباط كان يعتبر متعدد الأغراض ، فبالإضافة لهذا الغرض اتخذ أيضاً مكاناً لمرابطة المجاهدين الذين كانوا ينطلقون منه لفتح البلدان الوثنية المجاورة أو الدفاع عن بلدان الإسلام التي تقع فيها هذه الأربطة من غزوات الممالك الوثنية . وهذا هو الأصل في إنشاء الرباط.

وعن انتشار الزوايا فقد انتشرت في معظم الممالك الإسلامية التي ظهرت في القارة سواء في شمالها أو غربها ، باستثناء شرق القارة حيث تميز هذا القسم بعدم وجود النوعين سواء ربط أو زوايا وإنما ظهرت فيه الخلاوي .

رابعاً : الخلاوي :

من الأشياء التي تميّز بها السودان وجود الخلاوي التي انتشرت فيه . والخلاوي تشبه الزوايا إلى حد كبير من حيث كونها مكان الاعتكاف ، وكانت تستخدم للأغراض التعليمية . وكان إنشاء الخلاوي يقع على عاتق علماء الأزهر سواء الوافدين أو المقيمين

---

1 - المرجع السابق ، ص 41.

2 - ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر في أبناء العمر ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1994 ، جـ3 ، ص 527.

ببلاد السودان[1] . وكانت نظم الدراسة في الخلاوي تشبه إلى حد كبير نظام الكتاتيب الذي كان سائداً في البلاد الإسلامية ، حيث كان يتم فيها تحفيظ القرآن الكريم على يد الفقهاء الذين كان يطلق عليهم لقب (فقي) وهو تعبير شائع في بلاد السودان كان يدل على معلمي الكتاتيب ، كما كان يطلق على طلاب الخلاوي لفظ (حبور) [2] .

وكانت الحياة اليومية في الخلوة تبدأ من الساعة الرابعة صباحاً ، حيث كان يتم إيقاظ الطلاب ، ويبدأون في تلاوة القرآن الكريم حتى طلوع الشمس ، ثم يقومون بالأعمال اليومية مثل الزراعة وطحن الغلال وجلب المياه والحطب ، وكان يعطى للطلاب عطلة يوم الأربعاء[3] .

وقد انتشرت الخلاوي في بلاد السودان في عهد مملكة الفونج[4] . ومن أشهر الخلاوي التي تم إنشاؤها مجموعة تعد بسبع عشرة خلوة ، وهي مجموعة الخلاوي التي قام بإنشائها محمود قصير العركي على النيل الأبيض[5] .

ولقد قامت الخلاوي بدور كبير في نشر الإسلام والتعاليم الدينية في بلاد السودان ، حيث كان يتخرج منها العلماء الذين أسهموا في نشر الدين الإسلامي وتصحيح المفاهيم الدينية في بلاد السودان .

---

1 - Trimingham : Islam in Sudan , p 117 . وانظر أيضاً ودضيف الله : الطبقات ، ص 5.

2 - Ibid , p 117 .

3 - Ibid , p 117 .

4 - ود ضيف الله : الطبقات ، ص 5.

5 - المصدر السابق ، ص 163.

7 - الدور الديني للأزهر بعد عصر المماليك

أولاً : المدارس والعمائر الدينية :

استمر الدور الديني للأزهر في أفريقيا بعد عصر المماليك ، وكان من أبرز مظاهر هذا الاستمرار قيامه بدوره في بلاد سودان وادي النيل ، وبقية أنحاء القارة الأخرى . ففي سودان وادي النيل قام الشيخ الأزهري محمود قصير العركي (904 - 909هـ/ 1529 - 1534م) بإنشاء حوالي 15 مدرسة ، في مدينة الكوة على النيل الأبيض [1] .

وفي إطار إنشاء العمائر الدينية قام الشيخ عبدالرحمن بن ولاد البر[2] ، بإنشاء ثلاثة مساجد في دار الشايقية ، وكورتي ، ودفار[3] .

ثانياً : الكتب المقررة :

قام العلماء الأزهريون في بلاد السودان بتأليف مجموعة من الكتب الدينية ، التي استُخدمت في نشر صحيح الدين هناك ، ومن أشهر هذه الكتب :

ا - كتب التوحيد :

اشتهر في سودان وادي النيل كتاب (الجواهر في أركان الإيمان) تأليف الشيخ أرباب بن عودة (1102هـ/ 1691م) ومنها كتاب (شرح أم البراهين الصغرى والكبرى) لعلي بن بري ، ومنها أيضاً كتاب (الحاشية على أم البراهين الصغرى والكبرى) لمحمد بن المضوى[4] .

---

1 - الكوة : منطقة جنوب الخرطوم ، وتبعد عنها حوالي 128 كيلو متراً .

2 - عبدالرحمن بن ولاد البر: أخو الشيخ إبراهيم بن ولاد البر ، ذهب إلى مصر وتلمذ على يد العالم الأزهري البنوفري، وقد تولى التدريس بعد وفاة أخيه إبراهيم .

3 - محمد سليمان : دور الأزهر في السودان ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1985م . ص 27 .

4 - المرجع السابق . ص 35 ، 34 .

ب - كتب الفقه :

اشتهرت في بلاد سودان وادي النيل مجموعة من الكتب الفقهية ، قام بتأليفها العلماء الأزهريون منها شرح مختصر خليل لضيف الله بن علي ، وكتاب حاشية على مختصر خليل لمحمد بن عبدالله بن حمد ، وكتاب رسالة في الفتاوى والأحكام لعبدالرحمن بن جابر ، وكتاب شرح الرسالة لمكي النحوي الرباطابي [1] .

ثالثاً: تأهيل القضاة :

قام الأزهر بتأهيل القضاة في أفريقيا ، وخصوصاً في بلاد سودان وادي النيل . وكان يتم تأهيل القضاة عبر عدة وسائل منها استقبال الطلبة ، وإعطائهم الإجازات [2] . وقد كانت هذه الإجازات تُعطَى بعد تحقيق من الشيخ المجيز ، وكانت غالباً لاتمنح إلا للطلبة النابغين [3] .

وقد وضعت شروط حاكمة لمن يتولى منصب القضاء ، من هذه الشروط أن يكون حافظاً للقرآن الكريم ، وأن يكون درس قدراً معقولاً من علم التوحيد ، وأن يكون متبحراً في الفقه على مذهب الإمام مالك ، ويجب أن يكون على قدر عال من معرفة اللغة العربية ، وأن يكون منتمياً لإحدى الطرق الصوفية [4] .

وقد قام الإمام محمد عبده باختيار الشيخ محمد شاكر في عام 1900م لتولي القضاء في السودان . وقد قام الشيخ محمد شاكر بوضع أسس القضاء الشرعي في السودان ، حيث قام بوضع لائحة ترتيب المحاكم الشرعية ، والتي تناولت شروط اختيار

---

1 - محمد سليمان : مرجع سبق ذكره، ص35 .

2 - الإجازات : معناها الشهادات الدراسية ، وكان يعطيها الشيخ لتلميذه ، وبعد حصوله عليها كان يحق له العمل بالفتيا ، والتدريس .

3 - محمد سليمان : نفسه . ص30 .

4 - نفسه . ص41 .

القضاة، والموظفين . كما وضحت اختصاصات هذه المحاكم . ووضحت لائحة طرق السير في الدعاوى القضائية وتحديد الرسوم القضائية[1] .

1 - محمد سليمان : مرجع سبق ذكره . ص 112 .